خصيصةُ الاحتياطِ للمعنى النَّصِّي
بوضع المظهر موضع المضمر في سورة البقرة وأثرها على المجتمع
(دراسةٌ بلاغية)

عبد الهادي أحمد سيد عبدالعال
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل
إيمان حطاب حميضان الشمري
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل

خصيصةُ الاحتياطِ للمعنى النَّصِّي بوضع المظهر موضع المضمر في سورة البقرة وأثرها على المجتمع (دراسةٌ بلاغية)

عبدالهادي أحمد سيد عبدالعال
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل
إيمان حطاب حميضان الشمري
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون جامعة حائل

تاريخ تقديم البحث: ٢٦/ ٦/ ١٤٤٤هـ تاريخ قبول البحث: ١٠/ ٨/ ١٤٤٥هـ

ملخص الدراسة:

يعمد هذا البحثُ إلى دراسةِ خصيصةِ الاحتياطِ للمعنى النَّصِّي بوضع المظهر موضع المضمر في سورة البقرة وأثرها على المجتمع؛ حيث إن إفادة المعنى تقتضي وضوح القصد وتجنُّب الخطأ، وذلك إنما يكون بتمامه، وإزالة اللبس والإبهام والاحتمال عنه، فالاحتياط لا يأتي من فراغ، إنَّما هو لغايةٍ تقتضيها ظروف القول حتى لا يخرج عن القصد أو يعتريه الإبهام أو الإحالة والغموض، ومن هنا كان بحاجة إلى دراسات مستقلة؛ لكشف أسراره، وسبر أغواره، والوقوع على مقاصده، وبيان أوجه الإعجاز فيه، ومن ثَمَّ تأتي أهمية هذه الدراسة من أنَّها تُظهر اهتمام القرآن الكريم بالمعنى، والاحتشاد له، وتحديده بدقة متناهية، وتصفيته من كل ما عسى أن يشوبه من احتمالات قد تغري بالتأويلات المنحرفة، والفهم المعوَجّ، وصونه من كلِّ ما يُوهم النقص. وقد اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبع المواضع في سورة البقرة، وتحليلها، ومحاولة كشف أسرارها، والوقوع على مقاصدها ومراميها، وبيان دورها في سياقها وفي المجتمع. ومن أبرز نتائجه: أن الاحتياط للمعنى النصي أسلوب اتَّبعه العرب لتحقيق أغراض متعددة. أن وضع المظهر موضع المضمر من وجوه الاحتياط للمعنى عند العرب. أن الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمر يأتي لتحقيق أغراض متعددة، منها: تمكين المعنى، والتعظيم، والتحقير، وإزالة اللبس، وإفادة العموم، والتنبيه على علية الحكم إلخ.

الكلمات المفتاحية: الاحتياط – المعنى النصي – المظهر – المضمر – بلاغية.

The precautionary characteristic of the textual meaning by placing the appearance in the place of the pronoun in Surat Al-Baqarah and its impact on society (rhetorical study)

Dr. Abd al-Hadi Ahmad Sayed Abd al-Aal

Department of Arabic Language, College of Letters and Arts

University Of Hail

Iman Hattab Humaidan Al-Shammari

Department of Arabic Language, College of Letters and Arts

University Of Hail

Abstract:

This research aims to study the precaution of the textual meaning by putting appearance in the place of the pronoun in Surat Al-Baqarah and its impact on society. Since clarifying the meaning requires clarity of intention and avoidance of error, and this alone is complete, and removal of ambiguity, ambiguity and possibility regarding it, caution does not come from a vacuum, rather it is an end necessitated by the circumstances of saying that. that it does not deviate from intent or be obscured by ambiguity or referral and ambiguity, hence the need for independent studies; Revealing its secrets, exploring its depths, defining its purposes, clarifying aspects of its miraculousness, and the importance of the study is that it shows the Qur'an's interest in the meaning, filling it in, defining it very accurately, purifying it from all its possibilities that may be tempted by deviant interpretations and twisted understanding, and protecting it from everything that misleads. Shortage. The research relied on the descriptive analytical approach based on surveying and analyzing situations, trying to uncover their secrets and purposes, and explaining their role in their context and society. To enable the meaning, glorify, remove confusion, and alert to the greatest judgment, and so on.

Keywords: Precaution- meaning- appearance- pronoun – rhetoric.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، رفع العربية، وأعلى شأنها، وشرَّفها على سائر اللغات، فأنزل بها خير كتبه وأفضلها، قال سبحانه:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[يوسف:٢]، وقال:﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[الشعراء:١٩٥]، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد، فإنه من البين الجلي أنَّ بيان كل مبين على مقدار علمه بما يبين عنه، وبمقدار اقتداره على الإبانة عنه، فانظر كم يكون كمال وجمال وجلال وإعجاز بيان الله – عز وجل – الذى وسع كل شيء علما، والذى هو على كل شيء قدير(١)، يقول الحرَّالي: "اعلم أن بلاغة البيان تعلو على قدر المبِين، فعلو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه، وبيان كل مبين على قدر إحاطة علمه"(٢)، ولهذا كان بيانه تعالى تاما، وكان معجزاً؛ فكثرت الدراسات حوله، ومع هذا فإنه مازال وسيظل نبعاً ثرَّاً لا ينضب معينه، بكرًا في ألفاظه ومعانيه، وتراكيبه ووسائله وغاياته، يحوم حوله العلماء من كل جيل، فيلتقطون من جواهره بعض الفرائد، ويرتشفون من جليل هديه وتوجيهه بعض القطرات، ليستمر مطلوبَ التدبر، ومُناط التأمل، لا سبيل عليه ليد الزمن

(١) شذرات الذهب دراسة عربية في بيان القرآن الكريم، أ د/ محمود توفيق سعد، ص٣، الطبعة: الأولى، دار الوفاء للطباعة – شبين الكوم –١٤٢٢هـ.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦٨/١، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب المهدي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

وحوادثه مما تبليه أو تستجده، إنما هو روح من أمر الله – تعالى – هو منزله وحافظه[1].

ومن البيّنِ المركوزِ في الطباع، المعلومِ يقينا، أن لكل لغة أسسَها، وقواعدها العلميةَ التي تنهض عليها في جوانبها المختلفة (النحوية، والصرفية، والصوتية، والبلاغية، والمعجمية...)، غير أن العربية قد تفرَّدت بخصائصَ تعبيريةٍ انمازت بها عن غيرها، فبَزَّت جميع اللغات، وتهيأت لحمل كلام الله المعجز إلى عباده، من هذه الخصائص خصيصة الاحتياط للمعنى[2]؛ حيث إن إفادة المعنى تقتضي وضوح القصد وتجنُّب الخطأ، وذلك إنما يكون بتمامه، وإزالة اللبس والإبهام والاحتمال عنه، ومن ثمَّ فبدهِيٌّ أن يحتاط المتكلمُ لكلامه ويحتشد لمقصده، فيقيّده بقيودٍ لفظيةٍ أو معنويةٍ تكون صارفةً الذهنَ أن يُظنَّ غير المراد، فاحتياط المتكلم لمعناه لا يأتي من فراغ، إنَّما هو لغايةٍ تقتضيها ظروف القول حتى لا يخرج عن القصد أو يعتريه الإبهام أو الإحالة والغموض، ومن هنا كان الاحتياط للمعنى وبخاصة في القرآن الكريم بحاجة إلى دراسات مستقلة في شتى جوانبه وصوره نحويا وصرفيا وصوتيا ودلاليا وبيانيا؛ لكشف أسراره، وسبر أغواره، والوقوع على مقاصده، وبيان أوجه الإعجاز فيه، فضلا عن كونه دليلا على فطنة المتكلم وذكائه بإيضاح ما قد يخفى، وإتمام ما يُوهم النقص...، ومن ثَمَّ

---

(١) ينظر في ذلك: متشابه النظم القرآني بين التقديم والتأخير، عبدالهادي أحمد سيد عبدالعال، ص (أ)، "ماجستير" مخطوط في كلية اللغة العربية بأسيوط ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

(٢) تلك الخصيصة التي أفرد لها ابن جني بابا في كتابه (الخصائص) بعنوان باب الاحتياط، وذكر أن وجوهه في الكلام كثيرة ومتنوعة ينظر: الخصائص لابن جني، تحقيق محمد على النجار، ١٠١/٣، الطبعة: الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

تأتي أهمية الدراسة من أنها تُظهر اهتمام القرآن الكريم بالمعنى، واحتشاده له، وتحديده بدقة متناهية، وتصفيته من كل ما عسى أن يشوبه من احتمالات قد تغري بالتأويلات المنحرفة، والفهم المعوَجّ، وصونه من كلِّ ما يُوهم النقص، فضلا عن كونها تستند على ما ورد في فصيح اللغة ومُعْجِبِ كلام العرب مما يدلّ على احتياطهم للمعنى واستخدامهم هذه الخصيصة في كلامهم.

ولهذا كان اختيار خصيصة الاحتياط للمعنى في سورة البقرة بصورة واحدة من الصور التي يأتي بها، وهي صورة (وضع المظهر موضع المضمر)، ودراستها بلاغيا، لمحاولة الكشف عن أسرارها والوقوع على دلائل وبدائع إعجازه ومعالم هديه فيها، فضلاً عن أنه لم توجد رسالة علمية متخصصة تعالج موضوع الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر بلاغيا في سورة البقرة أو في القرآن كله من جميع جوانبه ومتطلباته، وتتناول كل جزئياته.

ولكل بحث طبيعته التي تفرض على الباحث منهجاً معيناً وخطة يتوقف وضوحه لقارئه على مدى ملاءمتهما لموضوع البحث، ووفائهما بما يريده الباحث، ومن ثم فقد اعتمدنا فيه المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبع المواضع في سورة البقرة (التي بلغت اثنين وتسعين موضعا)، وتحليلها، ومحاولة كشف أسرارها، والوقوع على مقاصدها ومراميها، وبيان دورها في سياقها وفي المجتمع، وعليه فقد قسمنا صور الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمر في سورة البقرة حسب أغراضها المؤَمَّة إلى سبعة مطالب تسبقها مقدمة، وتمهيد، وتعقبها خاتمة، على النحو التالي:

أما المقدمة فقد ذكرنا فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطته والمنهج الذي سرنا عليه فيه، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد فتحدثنا فيه بإيجاز عن الاحتياط مفهوما ودلالة.

وأما مطالب البحث فهي كما يلي:

المطلب الأول: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر لقَصْدِ الاعتناء بشأن المظهر تعْظِيما لشأنه.

المطلب الثاني: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر لإِزَالَةِ اللَّبْسِ أو التَّوَسُّلِ مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْوَصْف.

المطلب الثالث: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر؛ للتَّرغيب في الشيء وزيادة الحث عليه.

المطلب الرابع: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر؛ للتحذير من الشيء، والترهيب منه، وزيادة النكير عليه.

المطلب الخامس: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر؛ لتعيين المقصودِ بالذَّات، أو لإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم سابقتها.

المطلب السادس: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر؛ لزيادة التقرير والتمكين.

المطلب السابع: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر؛ للتنبيه على التَّرَتُّبِيَّةِ وعِلِّيَةِ الحكم، أو مناسبة استقلال الجملة بمدلولها.

أما الخاتمة فذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الأهداف:

• التعرف على حقيقة الاحتياط للمعنى والأسباب الداعية إليه من إزالة اللبس والإبهام والاحتمال عن الكلام...

• بيان أن الاحتياط إنَّما يكون لغايةٍ تقتضيها ظروف القول حتى لا يخرج عن القصد أو يعتريه الإبهام أو الإحالة والغموض.

• رصد الأغراض البلاغية التي تدور حول تصفيته من كل ما عسى أن يشوبه من احتمالات قد تغري بالتأويلات المنحرفة، والفهم المعوَجّ، وصونه من كلِّ ما يُوهم النقص.

الدراسات السابقة: لم يسبق إلى دراسة هذا الموضوع فيما نعلم إلا ما يلي:

١-دراسة للباحث/كاظم إبراهيم عبيس جامعة بابل، وهي أقرب إلى العموم والجمع والوجهة الأدبية والوصفية منها إلى الدراسة البلاغية التحليلية؛ إذ جاءت عامة شاملة جميع صور الاحتياط نحويا وصرفيا وصوتيا ودلاليا وبلاغيا، وكانت أقرب إلى الشواهد المتفرقة، يبدو ذلك جليا من عنوان الدراسة:(الاحتياط للمعنى في العربية)، ومن تقسيمها؛ حيث جاءت دراسته في ثلاثة فصول، خصص الفصل الأول منها للاحتياط الصوتي الصرفي للمعنى، وتناول في الفصل الثاني: الاحتياط النحوي للمعنى، أمَّا الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن الاحتياط البلاغي والدلالي للمعنى وقد قسمه إلى ثلاثة مباحث، درس في المبحث الأول الاحتياط للمعنى بأساليب البيان، أما المبحث الثاني فدرس فيه

الاحتياط للمعنى بالتتميم والإيغال، وفي المبحث الثالث درس الاحتياط للمعنى بالحمل على المعنى وخصص للحمل على الدلالة الصريحة للفظ، والحمل على معنى العموم، والحمل على معنى الخصوص، ولم يتعرض فيما أعلم من قريب ولا من بعيد لوضع المظهر موضع المضمر.

فضلا عن كونها (هذه الدراسة) غير مختصة بدراسة الاحتياط في القرآن الكريم، ولا في سورة البقرة بشكل خاص، إنما في العربية بوجه عام.

٢-دراسة للزميلين بكلية التربية جامعة بابل، أ.د/ سعدون أحمد علي الربعي، د/ كاظم إبراهيم عبيّس، تحت عنوان: (الاحتياط للمعنى بالتتميم والإيغال)، الذي يظهر جليا من عنوانها أنها تتناول الاحتياط للمعنى بالتتميم والإيغال؛ حيث تناول فيها جانبين: (أ) الاحتياط بالتتميم، (ب) الاحتياط بالإيغال، واكتفيا بشواهد محدودة جدا لا تتجاوز خمسة في كل لون، فضلا عن أنهما لم يقصرا دراستهما في القرآن الكريم، أو يخصصانها بسورة البقرة، ومن ثم فهي بعيدة كل البعد عن الدراسة الحالية، ومختلفة عنها تماما، فرأينا حاجة الحديث عن خصيصة الاحتياط للمعني بوضع المظهر موضع المضمر – على أهميتها – في القرآن الكريم (سورة البقرة خصوصا) إلى دراسة مستقلة تقوم على رصد أغراضه، واستيفاء أسراره وخصائصه (بنية، وتركيبا، وتصويرا، تحبيرا)[١].

(١) التحبير: مصدر حبر الكلام والشعر أي: زينة وحسنه ينظر: تحرير التحبير لابن أبي الأصبع المصري ص ٥٥ تحقيق د/حفني محمد شرف، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٦هـ ١٩٩٥هـ.

٣-بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية بكلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٦م، للزميلين أ.د/ سعدون أحمد علي الربعي، د/ كاظم إبراهيم عبيّس، تحت عنوان: (الاحتياط للمعنى بالحمل على المعنى)، الذي بيَّنَا فيه أن الحمل على المعنى لا يصح إلا إذا استحال الحمل على ظاهر اللفظ، خاصة في القرآن الكريم؛ للحفاظ على ظاهر النص القرآني، وأن ظروف القول قد تقتضي الاحتياط للمعنى بحمل اللفظ على معنى العموم أو الخصوص إذا كان الحمل على ظاهر اللفظ يولد مشكلاً أو لبسا في المعنى؛ وذلك لدفع اللبس، وتثبيت المعنى، وتوضيحه، وهذا ما قام عليه البحث، ومن ثم فلا علاقة له بما نحن بصدده من الاحتياط بوضع المظهر موضع المضمر في سورة البقرة.

٤- بحث منشور في حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا في العدد الثاني والعشرين الجزء السابع من العام ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، للدكتورة/ آمال أحمد السيد عامر تحت عنوان: (ضروب الاحتياط في اللغة العربية دراسة نحوية) يظهر من عنوانها أيضا أنها مختلفة تماما عما نحن بصدد تناوله؛ إذ هي دراسة نحوية صرفة، وغير مختصة بالقرآن الكريم، فضلا عن كونها لا تتناول من قريب ولا من بعيد الاحتياط بوضع المظهر موضع المضمر، وهذا ما يؤكده تقسيم دراستها، التي جاءت في فصلين، جاء الأول بعنوان: ضروب الاحتياط اللفظية بالتمييز بين الشيء وقسيمه بالعلامات، وتحته خمسة مباحث، وجاء الفصل الثاني بعنوان: أضرب الاحتياط بالتمييز بين المعاني المتضادة، وتحته ثلاثة مباحث، جميعها لم يرد فيها حتى مجرد ذكر المظهر والمضمر، ولا سورة البقرة.

٥- بحث للدكتور/ عرفة عبد الرحمن سلطان مدرس اللغويات في كلية اللغة العربية بجرجا ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، في المؤتمر الدولي الثاني لكلية اللغة العربية أسيوط جامعة الأزهر، بعنوان: (خصيصة الاحتياط عند ابن جنى وأسرارها النحوية والصرفية)، وهو كما يبدو من عنوانه يتناول الاحتياط وأسراره النحوية والصرفية، وبشكل عام، وعند العلامة ابن جني، ومن ثم فلا علاقة له بما نحن بصدده.

٦-هناك دراسات تناولت أسلوب وضع المظهر موضع المضمر وأسراره البلاغية على أنه أسلوب بلاغي مستقل، وهذه الدراسات لم يعرض الباحثان لها، ولم يطلعا عليها، بل ولم يبحثا عنها؛ لأن التناول في هذا البحث مختلف من حيث المنطلق، إذ هذا البحث ينطلق من دراسة الاحتياط للمعنى بصورة من صوره، هي (صورة وضع المظهر موضع المضمر) وتطبيقها في سورة البقرة، وهذا ما يزعم الباحثان أنه لا يوجد من قام به، أو لم يعثرا على شيء من ذلك.

تمهيد: الاحتياط مفهوما ودلالة، والمراد بالمعنى النصي في البحث

الاحتياط في اللغة: من حاطـــه حوطاً وحياطة، إذا حفظه، وتعهده، واحتـاط: بزنـة افتعـل[١]، يقـال: احتـاط الرجـل: أخـذ في أموره بالأحزم[٢]، واحتاط الرجل لنفسـه، أي: أخذ بالثقة[٣]، واحتاط للشـيء: طلب الأحوط، وأخـذ بأوثق الوجوه[٤]، ومن ثم فـالاحتيـاط في اللغـة يرد بمعـانٍ عـدة أهمهـا: الحفظ والصـون، والأخذ بالأحزم، والأخذ بأوثق الوجوه، وهو مصـطلح فقهي سـبق إليه المفسـرون، ثمَّ انتقل إلى المباحث اللغوية، وأول من درسـه بوصـفه ظـاهرة لغويـة ابن جني في كتـابـه الخصـــائص، إذ أفرد لـه بابا أسمـاه: باب الاحتياط، ضـمَّنه نصـوصـا لغوية يُحتاطُ فيها للمعنى مخافة الخطأ والزلل، وذكر أن الاحتياط: كل ما أريد به توكيد المعنى وتمكينه، وهذا ما أوضـــحه قوله: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته، واحتاطت له"[٥].

أما في الاصــطلاح فقد عُرِّف عدةَ تعريفات، جميعها لا تخرج كثيرا عن المعنى اللغوي للفظ؛ إذ عرفه بعضـــهم بقوله: هو فعل ما يتمكن به من إزالة الشـــك، وقيـل: التحفظ، والاحتراز من الوجوه لئلا يقع في مكروه، وقيـل:

---

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١٥٧/١، المكتبة العلمية – بيروت، بدون.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق د/عبدالحميد هنداوى،٨٤/٢، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ١٦٧، الطبعة: الخامسة، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٤) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، ١٥٧/١.

(٥) الخصائص، ابن جنى، ١٠١/٣.

استعمال ما فيه الحياطة، أي: الحفظ، وهو الأخذ بالأوثق من جميع الجهات، ومنه قولهم: افعل الأحوط، يعني: افعل ما هو أجمع لأصـول الأحكام، وأبعد عن شوائب التأويل[١].

ويمكن لنا أن نعرفه بأنه: أسلوب يلجأ إليه المتكلم لتحديد معانيه بدقة متناهية، فيقيّده بما يحفظ ذلك المعنى ويمكّنُه في الذهن مُصَفًّى كما هو، ويصونه من اللبس والظن والاحتمال وخطأ الفهم، والزلل في التأويل، وذلك أخذا بأوثق الوجوه، حتى لا يخرج فيه المتلقي عن القصد، أو يصمه بنقصٍ أو غموض أو إبهام لعيب في سليقته أو فطرته، أو لأيّ سبب آخر.

فهو كما ذكر ابن جني: أسلوب اتبعته العرب لتمكين المعنى، والاحتياط له[٢].

ولا يوجد من النحاة – فيما نعلم – من تناول هذا المعنى بلفظ الاحتياط، وإن ما ذكره النحاة فيما يتعلق بهذا المعنى ما هو إلا تسمية للقواعد النحوية، أو تعليل لها، وقد ورد ذلك في مواضع متناثرة في كتبهم، فمنها ما جاء في باب التوكيد، ومنها ما جاء في باب النعت، ومنها ما جاء في باب العطف، ومنها ما جاء في باب البدل، ومنها ما جاء في باب النسب، وغير ذلك من الأبواب.

---

(١) ينظر: الكليات الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ٣/٦١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: ابن جني بلاغياً في كتاب الخصائص للباحث: فائز طه عمر: ١٤، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد – العراق.

أما ابن جني فقد استعمل – بحسه اللغوي – هذه الظاهرة بمفهوم أوسع مما ذكره النحاة، ورغم ما يبدو من اختلاف ظاهر في الألفاظ غير أنها في مجملها منسولة من قواعد النحاة، وأنها كلها تؤدي مدلولاً واحداً.

أما المعنى النصي المراد في هذه الدراسة، فهو المعنى الواضح الذي انتهى إليه التأمل، مأخوذ من قولهم: "النص: رفعُك الشيء، ونص الحديث ينصه نصا: رفعه، وكل ما أُظهِر فقد نص...، والنص: التعيين على شيء ما...، ونص كل شيء: منتهاه...[1]"، قال ابن فارس: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء...[2]"، وعليه فالمقصود بالمعنى النصي هنا: المعنى المراد تبليغه من النص، القائم على فقه الدوالّ اللغوية مرتبطة بسياقها النصي، الذي تم تحديده بناء على المرجعيات النصية: (السياق اللغوي والسياق المقامي)، والذي أسهمت في تشكيله بنية النص وسياقه وتراكيبه، وتضافرت على كشفه أدواته وعناصره: (صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وأسلوبية)، المعنى الذي هو أكبر من مجموع المعاني الجزئية للجمل المتوالية التي تكوِّن النص.

(١) مختار الصحاح، للرازي،(ن ص ص)، ولسان العرب، ابن منظور: (ن ص ص)، الطبعة: الأولى، دار صادر – بيروت، بدون.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (نصَّ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المطلب الأول: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر لقصد الاعتناء بشأن المظهر تعظيما له

ورد الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر لقصد الاعتناء بشأن المظهر تعظيما لشأنه واعتناء به في خمسة عشر موضعا، في الآيات: (١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١٣٨، ١٤٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ٢١١، ٢٢٥، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٩، ٢٨٢).

أولها: قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...حتى يأتي الله بأمره إنه على كل شيء قدير)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ في موضع (إنه على كل شيء قدير)؛ اعتناء بشأن المظهر، تعظيما وتفخيما له؛ لأن الآية واردة في سياق تهديد أهل الكتاب على كفرهم وعنادهم وحسدهم وحقدهم (حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم) وإعراضهم عن الحق الذي جاء ممن لا يتوافق مع أهوائهم، وأمر المؤمنين بالعفو والصفح عنهم حتى يقضي الله فيهم بما يستحقون، ومن ثم فالسياق سياق شدة وقوة، وإظهار قدرة وعظمة، ولهذا ناسبه إظهار الاسم الأعظم (الله) اعتناء بشأنه، واحتياطا يلزم المخاطبين حدَّهم، تلاقيا مع سياق القدرة، وهذا ما لا يتحقق بالإضمار، فضلا عما فيه من حث المجتمع على ضرورة الصفح وأهميته

وفضله حتى يصدر حكم الله جلَّ وعز ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، ففي الإظهار احتياط للتعظيم يلزم المضلين الحاسدين حدهم، ويجابه سعيهم رد المؤمنين كفارا حقدا وحسدا، ويناسب سياق القوة وإظهار العظمة والقدرة، وكل هذا تحقق بإظهار الاسم الأعظم في موضع يصح فيه التعبير بالضمير.

ثانيها: قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة: ١١٠] الآية واردة في سياق التشريع، والأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتقديم الخير، والوعد بالإثابة عليه، ومن ثم عبَّر بالاسم الأعظم ابتداءً في (تجدوه عند الله)، ثم أظهره بعد ذلك وكان مقتضى الظاهر الإضمار وأن تكون العبارة (...عند الله إنه بما تعملون بصير)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وأظهر لفظ الجلالة ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؛ اعتناء بشأن المظهر، وترغيبا لأفراد المجتمع في فعل المأمورات، وترهيبا من مخالفتها، أو النكوص عنها، وتهديدا لمن يتهاون فيها بأن (الله) الجليل سبحانه بصير بكل شيء، ومؤاخذ عليه، وهذا ما ناسبه الإظهار؛ تلاقيا مع سياق التشريع وترغيب المجتمع المسلم في فعل المأمورات وترهيبه من ترك ما شرع الله منها.

ثالثها: قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، حيث عبر بالمظهر في موضع الضمير، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (فأينما تولوا فثم وجهه إنه واسع عليم)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر لفظ الجلالة والعزة والعظمة (الله)؛ لبيان عظمته سبحانه، وأنه لا جهة له؛ تنبيها على سعة ملكه، وإحاطة علمه بمن يتوجه لقصد مرضاته، ومن يُعرِض عنها من أفراد المجتمعات كافة، فالله العظيم سبحانه في كل مكان حيث قصده القاصدون، وعلمه محيط بكل شيء، جلَّ أو دقَّ، ظهر أم خفي، تلاقيا مع سياق التهكم على تحويل القبلة، والتذرُّع بها لإنكار الرسالة، وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من سياقات الشدة التي يناسبها إظهار الاسم الأعظم؛ لما فيه من هيبة ورهبة.

رابعها: قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، حيث كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (صبغة الله ومن أحسن منه صبغة...) لكنه عدل عن ذلك ووضع المظهر موضع المضمر ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾؛ لقصد الاعتناء بشأن المظهر وتعظيمه، في سياق الرد على اليهود والنصارى الذين كان التعميد مشروعا لهم؛ لغلبة تأثير المحسوسات على عقائدهم، فبين سبحانه للمجتمعات كافة – وبخاصة مجتمعات أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، الذين يحصرون دخول جنة الله في الآخرة على تابعي ديانتيهم – أن إيمان المؤمنين حاصل بصبغ الله وتلوينه في الفطرة مع إرشاده إليه، وهو ما لا تساويه – فضلا عن

أن تكون أفضل منه – صبغة من البشر، ومن ثم جاء الاستفهام إنكاريا بمعنى النفي، قال أبو حيان: "هذا استفهام ومعناه : النفي، أي: ولا أحد أحسن من الله صبغة[1]، (ومن أحسن من الله صبغة؟)؛ لتأكيد وتقرير انتفاء الأحسنية، وإثباتها لصبغة الله العظيم سبحانه.

خامسها: قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ... وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣]، حيث كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان ليضيع إيمانكم إنه بالناس لرؤوف رحيم)، لكنه عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم في موضع الضمير؛ للتعظيم، وبيان أن العظيم (الله تعالى) لا يضيع عنده ثواب الأعمال وإن تحولت الوجهة، ردا على مجتمعات المشركين وأهل الكتاب الذين استهزأوا بحدث تحويل القبلة، وسخروا منه، وزعموا بطلان ما كان من العبادات والصلوات تجاه بيت المقدس، وطمأنة المجتمع المسلم أن العظيم (الله) لا يضيع عنده العمل الطيب، وأنه هو من يثيب عليه، حتى إنه عبَّر عن هذا العمل (الصلاة تجاه بيت المقدس)

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل،١/٥٨٤، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

بلفظ الإيمان ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ ؛ تعظيما لهذا العمل، فضلا عما فيه من التوسل من الاسم المظهر (الله) إلى الوصف الوارد بعده من عدم إضاعة ما فات من صلاة تجاه بيت المقدس؛ تحقيقا وتقريرا للإثابة عليها، الموصلة إلى تحقيق وصفه تعالى بالرأفة والرحمة، الوارد بعد الاسم الأعظم المظهر في الموضع الثاني (إن الله بالناس لرؤوف رحيم).

سادسها: قوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ....﴾ [البقرة: ١٨٥] حيث أظهر لفظة (الشهر) بعد ذكره معرفا بالإضافة في صدر الآية، وكان مقتضى الظاهر الإضمار وأن تكون العبارة (...فمن شهده منكم فليصمه)؛ لوجود ما يعود عليه الضمير من غير لبس، ولكن النظم عدل عن ذلك ووضع المطهر (ٱلشَّهۡرَ) في موضع الضمير؛ اعتناء بشأن هذا الشهر، تعظيما له، ومن ثم وجب على المجتمع المسلم صومه إلا من استثناهم لسفر أو مرض، قال أبو السعود: "ووضع المظهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة في البيان(١)".

سابعها: قوله:﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ...تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ

(١) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ١/٢٠٠، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي،١/٤٥٨، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ.

ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٧] إذ الأصل أن تكون العبارة (تلك حدوده فلا تقربوها كذلك يبين آياته...)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر لفظ الجلالة في الموضعين: (تلك حدود الله)، و (كذلك يبين الله آياته...)؛ اعتناء بشأن المظهر وتعظيمه تفخيما له، وتحريضا للمجتمعات المسلمة على الالتزام بما شرع، والحذر من مخالفته؛ "لأن في ذكر المظهر من التفخيم ما ليس في المضمر(١)".

ثامنها: قوله:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٨٩،١٩٠]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (واتقوا الله لعلكم تفلحون، وقاتلوا في سبيله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك في الموضعين وعبَّر بالمظهر (الله) في موضع المضمر؛ اعتناء بشأنه سبحانه وتعظيما له، فضلا عما فيه من دلالة على تفخيم أمر الجهاد في سبيل الله وتعظيمه، وعما يوجبه الكلام في (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) من جلال ومهابة تتلاقى مع سياق نهي المجتمع كله بجميع أفراده عن الاعتداء.

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٤٠١/٧، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

تاسعها: قوله: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١٩٤] والأصل أن تكون العبارة (واتقوا الله إنه مع المتقين)، لكن النظم الحكيم أظهر لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ اعتناء بشأنه؛ فضلا عما فيه من دلالة على تعظيم الأمر بالاتقاء، واهتمام المجتمع به حتى في حالة ردِّ الاعتداء، وذلك بألَّا يزيد عن الحد؛ لأن من شأن رد الاعتداء أن يكون عن غضب، ومن ثم فهو مظنة الإفراط في الرد، لهذا صُدِّرت الجملة بـ (اعلموا)، وجاء الكلام مؤكدا (إن الله مع المتقين)؛ إرشادا لهم إلى ما ينفعهم(١)، وإيذانا بأهمية ما سيأتي، وأنه مخالف لهوى النفس، وأنه بحاجة إلى معية الله وتوفيقه، وهذا ما ناسبه إظهار الاسم الأعظم.

عاشرها: قوله: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١] التي جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل وجحودهم آيات الله تعالى، وكفرهم برسله، من خلال تكرير وتقرير كثرة سوق الآيات إليهم؛ بسبب مراوغتهم وتبديلهم وتحريفهم، وقد ورد ذكر لفظ (آية) في صدر الآية (كم آتيناهم من آية بينة)، ومن ثم كان مقتضى لظاهر أن يأتي التعبير عنها بعد ذلك بالضمير،

(١) ينظر: روح المعاني، ٢٨٥/٥.

وأن تكون العبارة (ومن يبدلها من بعد ما جاءته...)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبَّر بالمظهر (وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ) في موضع الضمير، واصطفى التعبير عنها بلفظ (نعمة الله)؛ ليدل على أن الآيات من نعم الله تعالى العظيمة؛ اعتناءً بشأنها، وتعظيما لها، وتذكير الأفراد والمجتمعات بها، ولهذا أضافها الله تعالى إليه، قال الآلوسي: "وفيه وضع المظهر موضع المضمر بغير لفظه السابق؛ لتعظيم الآيات[1]"، فـ "النعمة حينئذ من وضع المظهر موضع المضمر؛ ليدل على أنها نعمة إلهية جليلة[2]".

حادي عشر: قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [البقرة: ٢٢٥]، حيث عدل عن (وهو غفور حليم) إلى الإظهار في سياق امتنانه تعالى بعدم المؤاخذة على الأيمان التي تجري على اللسان من دون قصد، وحلمه بمن اعتادت ألسنتهم على ذلك، ومن ثم عبر بالمظهر (الله) في موضع الضمير؛ اعتناء بشأن المظهر وتعظيمه، وهو ما يشي بما ينبغي على الفرد والمجتمع من حفظ الألسنة عن الأيمان في غير ما حاجة إليها حتى مع عدم المؤاخذة، فضلا عما فيه من دلالة على استقلالية الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

---

(١) روح المعاني، الآلوسي،١/٤٩٤.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، ٢/٢٩٦، دار صادر – بيروت، بدون تاريخ.

ثاني عشر: قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، إذ الظاهر أن تكون العبارة (ولكنه ذو فضل على العالمين)، لكنه لما كانت الآية مسوقة مساق الامتنان عليهم وبيان أن الكثرة ليست سبباً للإنتصار، وأنه كثيراً ينتصر القليل على الكثير(١) كرر اسمه تعالى؛ لقصد الاعتناء بشأن المظهر تفخيما وتعظيما؛ لأن في ذكر المظهر من التفخيم ما ليس في المضمر(٢)، فضلا عما في إظهاره من الدلالة على تفخيم الأمر وتعظيمه(٣) في سياق الامتنان، تذكيرا للمجتمع الإنساني كافة بأنعم الله تعالى عليهم، وتسخيره بعضهم لمنافع بعض، وهكذا تدور حياتهم: غنيهم وفقيرهم، العامل منهم ورب العمل... إلخ.

ثالث عشر: قوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي،٢/٢٧٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٢/٤٠٨.

(٣) السابق، ٣/٢١٩.

مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إذ إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلمنا... ولو شئنا ما اقتتل الذين من بعدهم..... ولو شئنا ما اقتتلوا ولكنا نفعل ما نريد)، ولكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبَّر بالاسم الأعظم (الله) بدل الضمير؛ اعتناء بشأنه وتفخيما وتعظيما له، وإعلام المجتمعات أن ما يحدث في ملك الله تعالى غير خارج عن مشيئته، وأنه سبحانه (الله) الملك الأعظم، الذي يفعل ما يريد، فلا يغتر ضعاف الإيمان بابتلاء أولياء الله تعالى أو بعض أنبيائه، أو كفر بعض خلقه، وتأكيد أن كل هذا وغيره من فعل الله تعالى العظيم، وداخل في مشيئته، ويزيد على ذلك في قوله: (ولكن الله يفعل ما يريد) أن في الإظهار دلالة على استقلالية الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

رابع عشر: قوله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ...﴾ [البقرة: ٢٦٩]، الذي ورد في سياق الحديث عن فضل الحكمة ومكانتها، بعد الحديث عن وعود الشيطان وإغراءاته في مقابلة ما يعد به الله سبحانه ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، الأمر الذي يستدعي من الأفراد والمجتمعات عقلانية وحكمة في وزن الأمور، ووضع كل شيء في نصابه، وتقديره حق قدره، ومن ثمَّ الاختيار بين لذة سريعة عاجلة ومتعة زائلة (وذلك في اتباع الشيطان وما يأمر به)، وبين متعة خالدة ونعيم دائم (فيما يأمر به الله تعالى من الشرائع والأحكام التي يدور عليها فلك المنافع،

والتي يخص بها من يشاء من عباده)، وهذا ما تم التعبير عنه بـ (الحكمة) في الآية، ثم أثنى سبحانه على من اختارهم ووفقهم لهذا الإيتاء، واضعا المظهر موضع المضمر في (ومن يؤت الحكمة...) حيث سبق ذكر الحكمة في صدر الآية، إذ كان مقضى الظاهر أن تكون العبارة (ومن يؤتها)؛ تعظيما للحكمة، واعتناءً بشأنها، فضلا عن الثناء على أهلها ومن أوتيها، ومدحه بأنه أوتي خيرا كثيرا(١).

خامس عشر: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ .... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ [البقرة: ٢٨٢] حيث ذُكر لفظ الجلالة في الآية ثلاث مرات، وكان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (واتقوا الله ويعلمكم، أو وهو يعلمكم، إنه بكل شيء عليم)، لكنه عدل عن ذلك وعبَّر بالمظهر (الله) في موضع المضمر في الموضعين الأخيرين؛ تعظيما له، وتفخيما لشأنه؛ لأن في ذكره من التعظيم وتفخيم الأمر ما ليس في المضمر، يشهد لذلك ما ذكره الإمام عبد القاهر من أن حسن الإظهار وموقعه من النفس وبعثه الأريحية لا يخفى على من له ذوق(٢)، قال الراغب في تفسير هذه الآية: "إن قيل: كيف قال:﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ وكرر لفظ (الله) ثلاثا متواليات، ولم يعدل

(١) ينظر: روح المعاني، الآلوسي،٢/٤١، ٤٢.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٥٥٦، ٥٥٧، تحقيق محمود محمد شاكر، الطبعة: الثالثة، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

إلى الكناية [أي: إلى الإظهار]، وهل ذلك في استقباح خط الإعادة لولا شرف لفظ (الله)؟ ثم أجاب بقوله: "ولهذا الباب قانون يعرف به المستقبح من المستحسن، وهو أن كل تكرير على طريق تعظيم الأمر أو تحقيره في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها، فذلك غير مستقبح، وإذا كان ذلك في جملة واحدة أو في جمل في معنى واحد، أو لم يكن فيه التعظيم أو التحقير، فذلك مستقبح، وهذا ظاهر في الآية ...، فإنما قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ جمل في معان مفترقة، فإن الأول: حث على تقوى الله، والثاني: تذكير بنعمه، والثالث: تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد وقصد عظيم كل واحد من هذه الأحكام، فأعيد لفظ (الله) فيها[1]، و قال المرزوقي عند شرح قول يحيى بن زياد[2]:

لما رأيت الشيب لاح بياضه بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا [الطويل]

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني،١/١٩١، ١٩٢، الطبعة: الأولى، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، وينظر في ذلك: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، ٢/٣٥١.

(٢) هو أبو الفضل يحي بن زياد بن عبيد الله بالحارثي، كان خطيبا أديبا. قال عنه الزركلي: "شاعر ماجن، يرمى بالزندقة من أهل الكوفة، له في السفّاح والمهدي العباسيين مدائح، وهو ابن خال السفّاح، أقام ببغداد مدة ولم يحمد زمانه فيها، فخرج عنها، وفي أمالي المرتضى: "كان يعرف بالزنديق، وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق، يعنون يحيى؛ لأنه كان ظريفا، توفي في أيام المهدي". الأعلام، الزركلي، ٨/١٤٥، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين – أيار / مايو ٢٠٠٢م

قال: "وكان الواجب أن يقول: قلت له مرحبا، ولكنهم يكررون الأعلام وأسماء الأجناس كثيرا، والقصد بالتكرير التفخيم[1]" والتعظيم، فضلا عما في إظهار الاسم الجليل في الجمل الثلاث من قصد التنويه بكل جملة منها حتى تكون مستقلة الدلالة، لا تحتاج إلى ربط بالضمير، بل اكتفي فيها بربط حرف العطف، وليست في معنى واحد، فالأولى: حث على التقوى، والثانية : تذكر بالنعم، والثالثة: تتضمن الوعد والوعيد[2]".

المطلب الثاني: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر لإزالة اللبس، أو التوسل من الظاهر إلى الوصف.

أ)– يأتي المظهر في النظم الحكيم في موضع المضمر احتياطا؛ لإزالة ما عسى أن يشوب الكلام من لبس يصرفه عن مراده، ومن ثم يحتاج المتلقي إلى ما يزيل ذلك اللبس، فيأتي المظهر ليرشد المتلقي إلى الوصف، ويكشف له عن المراد في أتم صورة، وأبين وجه، والناظر في سورة البقرة يجد أن وضع المظهر موضع المضمر لإزالة اللبس جاء في خمسة مواضع في الآيات: (٩٦، ٩٨، ١٩٧، ٢١٧، ٢٤٣)، **أولها:** قوله سبحانه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ...﴾ [البقرة: ٩٦]، الوارد في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وشنيع أفعالهم، وقبيح خلالهم، وقد

---

(٣) شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، باب الأدب، الحماسية رقم (٤٠٠) ص ١١١٧، نشره أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(١) ينظر: البحر المحيط، ١٧١/٢.

سبق – بعد بيانهم – التعبير عنهم بالضمير (وَلَتَجِدَنَّهُمْ)، فكان مقتضى الظاهر أن يستمر السياق في التعبير عنهم بالضمير، فتكون العبارة (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومنهم يود...)، ولكنه عدل عن ذلك وعبر عنهم بالمظهر في موضع المضمر،[هذا بناء على أن السياق للمحاجة، وأن الواو استئنافية(١)]؛ نعيا عليهم بالشرك؛ احتياطا، حتى لا يظن أحد خروجهم من جملة المشركين ودخولهم مع المؤمنين؛ لإيمانهم بموسى وتعصبهم لديانته، فجاء التعبير عنهم بالمظهر مع إمكانية الإضمار؛ ليستقر في ذهن المجتمع من خلال الوصف (ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ) أنهم محكوم عليهم بهذا الحكم (الشرك)، ومن ثم يتمسكون بالحياة، ولا يريدون الانتقال عنها، قال الآلوسي: "ووضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بالشرك(٢)".

ثانيها: قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقد جاء وضع المظهر موضع المضمر هنا في موضعين، الموضع الأول في التعبير بلفظ الجلالة (الله) في (فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ) وقد سبق في الآية ذكر لفظ الجلالة، ومن ثم يصح الإضمار؛ لوجود ما يصح أن يعود عليه الضمير، وعليه كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال

(١) أما إن كان المراد بـ (الذين أشركوا) المشركين غير اليهود فلا تكون الآية من مواضع الاحتياط بوضع المظهر في موضع المضمر.

(٢) روح المعاني، الآلوسي، ١/٣٣٠.

فإنه عدو للكافرين)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (الله)؛ لأنه لو أضمر لأدى ذلك إلى تلبيس المعنى على السامع، إذ ربما يفهم بعض أفراد المجتمع أن الضمير عائد إلى (ميكال)؛ لأنه أقرب مذكور، أو إلى (جبريل)؛ تلاقيا مع حال اليهود الذي نزلت فيهم الآيات، فيكون الكلام مجاوبا لبعضهم في قولهم على جبريل – عليه السلام- : "ذاك عدونا"، ولهذا خصّه الله تعالى في الآية السابقة مباشرة برد مستقل، وأفرده من دون غيره في قوله: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ البقرة:٩٧، أو يتوهم عوده على اسم "كان" في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا﴾، قال الآلوسي: "وأتى باسم الله ظاهرا، ولم يقل: "فإنه عدو للكافرين" دفعا لانفهام غير المقصود، أو للتعظيم والتفخيم...[1]"، الموضع الثاني في التعبير بلفظ (الكافرين) في (فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ)، وقد سبق ما يصح أن يعود إليه الضمير (مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ)، وعليه كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال فإن الله عدو له، أو لهم)، ولكنه عدل عن ذلك أيضا؛ احتياطا؛ لدفع توهم أن يفهم بعض أفراد المجتمع أن الضمير إن كان مفردا (فإن الله عدو له) عائد إلى (ميكال) أقرب مذكور، أو يُفهم إن كان الضمير جمعا (فإن الله عدو لهم) أن يكون الضمير عائدا إلى من سبق ذكرهم (ملائكته ورسله وجبريل وميكال)، وهذا غير مراد ألبتة، ولهذا عبر بالظاهر (فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ

(١) روح المعاني، الآلوسي، ٣٣٣/١.

لِّلۡكَٰفِرِينَ)، فضلا عما في الإظهار من التوسل بالوصف الظاهر (الكافرين) إلى أن عداوة المذكورين (الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) كفر ظاهر بيّن، وأنه يستوجب عداوة الله تعالى وسخطه وعقابه، قال الآلوسي: "ووضع المظهر موضع المضمر للإيذان بأن عداوة المذكورين كفر، وأن ذلك بين لا يحتاج إلى الإخبار به، وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لأشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور...(١)".

ثالثها: قوله:﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ...﴾ البقرة: ١٩٧، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فيه)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (في الحج) في موضع المضمر؛ لإزالة توهم بأن يكون الضمير عائدا إلى (من) في (فَمَن فَرَضَ) لا على الحج، وعليه يكون المعنى: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في فارض الحج، وليس النهي عن هذه الثلاثة في الحج، ومن ثم يخرج النهي عن مراده، ويفرَّغ الكلام من مضمونه عند بعض أفراد المجتمع، إذ الصواب أن المراد من الآيات بيان أن هذه الثلاثة (الرفث والفسوق والجدال) منهي عنها في الحج، قال أبو حيان: "قال بعضهم: وكرر في الحج فقال: (في الحج)، ولم يقل: (فيه) جريا على عادة العرب في التأكيد بإقامة المظهر مقام المضمر.....، ولإزالة توهم أن يكون الضمير عائدا على (من) لا على الحج، أي: في فارض

(١) روح المعاني، الآلوسي، ١/٣٣٣، ٣٣٤.

الحج، وعلى ما اخترناه من أن المراد بهذه الأخبار النهي تكون هذه الأشياء الثلاثة منهيا عنها في الحج[1]"، فضلا عما في الإظهار من تأكيد النهي عن هذه الثلاثة في الحج، وتمكين نفي الرفث والفسوق والجدال فيه بين مجتمع الحجيج، والتنبيه على أنه يجب فيه أكثر مما يجب في غيره من البعد عن كل ما يُلهي عن ذكر الله تعالى ومرضاته، ومن زيادة في تقرير وتمكين فرضيته في هذه الأشهر المعلومات.

رابعها: قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ...﴾ [البقرة: ٢١٧]إذ الظاهر أن تكون العبارة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل هو فيه كبير وصد عن سبيل الله...) لذكر القتال قبل، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك ووضع المظهر موضع الضمير؛ دفعا لتوهم أن يُفهم عودة الضمير على (الشهر الحرام)، وأن الشهر الحرام هو الكبير، فإزالةً لهذا اللبس عبر بالمظهر حسما للأمر، فإظهار لفظ القتال في مقام الإضمار؛ ليكون الجواب صريحا حتى لا يتوهم أن الشهر الحرام هو الكبير، وليكون الجواب على طبق السؤال في اللفظ[2]، تلاقيا مع سياق التشريع ببيان عظيم حرمة القتال في الشهر الحرام، تقريرا لما له من الحرمة التي جعلها الله لهذه الأشهر من عهد إبراهيم عليه السلام، هذا إن كان السؤال

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ٢٨٨/٢، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٢) ينظر: جامع لطائف التفسير، عبد الرحمن بن محمد القماش، إمام وخطيب بدولة الإمارات العربية، ٣٤١/٥، (المكتبة الشاملة).

من المسلمين، أما إن كان السؤال من المشركين، فهو تبكيت لمن توقَّع منهم أن يجيبهم بإباحة القتال فيه فيثوِّروا بذلك العرب ومن في قلبه مرض[1].

خامسها: قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، الآية واردة في سياق الحث على الجهاد، والعظة بترك الجبن، من خلال بيان أن الخوف من الموت لا يدفع الموت، فهؤلاء الذين ضرب بهم هذا المثل خرجوا من ديارهم خائفين من الموت، فلم يغن خوفهم عنهم شيئا، وأراهم الله الموت ثم أحياهم؛ ليصير خلق الشجاعة لهم حاصلا بإدراك الحس، ومحل العبرة من القصة: هو أنهم ذاقوا الموت الذي فروا منه، ليعلموا أن الفرار لا يغني عنهم شيئا، وأنهم ذاقوا الحياة بعد الموت، ليعلموا أن الموت والحياة بيد الله[2]، وليدركوا فضل الله تعالى عليهم وإنعامه، ومع ذلك لم يشكروا، هذا طبع أكثر أفراد المجتمع وديدنهم، ومقتضى الظاهر في الآية أن تكون العبارة (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (الناس)؛ دفعا لتوهم أن يكون المراد بالضمير في الآية الذين ضرب المثل فيهم ممن خرجوا من ديارهم خائفين من الموت، قال البقاعي: "كرر

(١) ينظر: السابق، ٣٢٦/٢.

(٢) السابق، ٤٥٨/٢.

الإظهار ولم يضمر ليكون أنص على العموم لئلا يدعي مدع أن المراد بالناس الأول أهل زمان ما، فيخص الثاني أكثرهم[1]"

ب)– يأتي الاحتياط بوضع المظهر موضع المضمر للتوسل من المظهر إلى وصف المتحدث عنهم بصفة لم تكن لتُفهم من بعض أفراد المجتمع أو تُعرف لولا الإظهار، وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع في الآيات: (٩٥، ١٧١، ٢٤٦)

أولها: قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٩٥] الآية واردة في سياق الحديث عن اليهود، وكفرهم وعنادهم ووقاحتهم بادعاء الإيمان، والاختصاص بالجنان، وإبطال دعواهم (التمسك بالتوراة وإيمانهم بأنبيائهم ببيان خروجهم عن شرع التوراة بعبادة العجل، وقتل الأنبياء، وإبطال ما في عقائدهم من الانفراد برحمة الله، وحرمان من سواهم من حظ الآخرة) عن طريق إحالتهم إلى الثقة بحسن مصيرهم (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) البقرة: [٩٤]، الذي بيَّن أنه لن يكون منهم بسبب جرائمهم وفظائعهم التي تقترفها أياديهم، بدليل قوله بعدها: (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم)، المسوقة من جهته تعالى؛ لبيان ما يكون منهم من الإحجام الدال على كذبهم في دعواهم، والمراد لن يتمنوه ما عاشوا[2]، ومن ثم كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (والله عليم بهم) لورود ذكرهم قبل ذلك، غير أن النظم الحكيم عدل عن الإضمار، وعبر بالمظهر ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾، توسلا من

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٦٦/١.

(٢) روح المعاني، ٣٢٨/١.

المظهر إلى وصفهم بالظلم؛ وفضحهم أمام المجتمعات الإنسانية كافة، وتكذيبهم في ادعاء الأفضلية على بقية الشعوب، وعلى سائر الملل والأعراق.

ثانيها: قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة١٧١]، الآية في سياق تمثيل حال الكافرين الوارد في سابقتها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾[البقرة:١٧٠] حيث مَثَّلَ داعي الذين كفروا بالناعق الذي لا تفهم بهائمه ما تحت الصوت، أو مثَّل الذين كفروا ببهائم الذي ينعق، قال الآلوسي: "ووضع المظهر- وهو الموصول- موضع المضمر- وهو البهائم- ليتمكن من إجراء الصفة التي هي وجه الشبه عليه، وحاصل المعنى على التقديرين أن الكفرة لانهماكهم في التقليد وإخلادهم إلى ما هم عليه من الضلالة لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها وهي لا تسمع إلا جرس النغمة ودويّ الصوت، وقيل: المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته، أو تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نعقه...[1]".

ثالثها: قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ

(١) روح المعاني، الآلوسي، ٤٣٨/١، ٤٣٩.

إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٢٤٦] إذ الظاهر أن تكون العبارة (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بهم)، لكنه عدل عن ذلك ووضع المظهر (الظالمين) موضع الضمير؛ احتياطا للتوسل من المظهر إلى وصفهم بالظلم تسجيلا عليهم بذلك بين مجتمعاتهم؛ ليتمكن من إجراء هذه الصفة عليهم.

المطلب الثالث: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر؛ للتَّرغيب في الشيء وزيادة الحث عليه.

كما يأتي وضع المظهر موضع المضمر احتياطا؛ للتعظيم أو إزالة اللبس، والتوسل من الاسم المظهر إلى الوصف بعده، يأتي للترغيب في الشيء وزيادة حث الفرد والمجتمع عليه، ومن خلال استقصاء مواضع التعبير بالمظهر في موضع المضمر احتياطا؛ للترغيب في الشيء وزيادة الحث عليه يتبين أنه جاء في السورة في عشرة مواضع، في الآيات (٥٤، ١٩٥،١٩٩، ١٨٠، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٦٨).

أولها: قوله تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤] الآية واردة في

سياق الامتنان والإنعام على بني إسرائيل بنسخ تكليف شديد عليهم كان قد جُعل جابرا لما اقترفوه من إثم عبادة الوثن، فحصل العفو، نعمة أخروية في حق المقتولين من بني إسرائيل؛ حيث نالوا درجة الشهداء، كما حصل العفو نعمة دنيوية في حق الباقين على قيد الحياة [١]، وفي الآية جاء التعبير بالمظهر (عند بارئكم) – أي: خالقكم على تناسب وتعديل– في موضع المضمر؛ إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عنده)، ولكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر (بارئكم)؛ ترغيبا للمجتمع المسلم في التوبة، وتحريضا وحثًّا عليها، وتحبيبا فيها؛ لما تحمله من معاني الشكر على هذه المنة، من خلال التنبيه بلفظ (الباري) على الصانع ، أي الذي أوجدكم هو المستحق للعبادة ، لا الذي صنعه ، مصنوع مثله [٢].

ثانيها: قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠] إذ كان مقتضى السياق أن تكون العبارة (حقا عليكم)، فقبله ضمائر عائدة على الذين آمنوا في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١٧٨] وقوله: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي

(١) ينظر: روح المعاني، ١/٢٦٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط، ١/٣٦٥.

ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] ولكن النظم عدل عن ذلك، وأظهر (المتقين) في موضع الضمير؛ لترغيب الفرد والمجتمع في الوصية، وتأكيد حثهم على القيام بها؛ إذ لا يحرص عليها إلا أهل التقوى، قال الآلوسي: "والمراد- بالمتقين- المؤمنون، ووضع المظهر موضع المضمر؛ للدلالة على أن المحافظة على الوصية والقيام بها من شعائر المتقين الخائفين من الله تعالى(١)"، ولهذا أعقبه تحذير المخالفين في قوله بعدها: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٨١].

ثالثها: قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] إذ الأصل أن تكون العبارة (إنه يحب المحسنين) لكنه عدل عن ذلك، وأظهر الاسم الأعظم في موضع الإضمار؛ احتياطا لترغيب المجتمع المسلم في الإحسان وزيادة التحريض والحث عليه؛ لأن فيه إعلاماً بأن الله يحب من الإحسان صفة له، ومن أحبه الله لهذا الوصف فينبغي أن يقوم وصف الإحسان به دائماً، بحيث لا يخلو منه محبة الله دائماً(٢).

رابعها: قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٩٩] حيث أظهر الاسم الجليل في موضع الضمير في: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، والأصل أن تكون العبارة

---

(١) روح المعاني، ٤٥٢/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط، ٨٠/٢.

(واستغفروا الله إنه غفور رحيم)، لكنه عدل عن ذلك؛ احتياطا لترغيب المجتمعات المسلمة في الاستغفار، والمبالغة في حثهم عليه، فضلا عما فيه من الدلالة على سبب الأمر به، من خلال بيان أن الله تعالى الأعظم سبحانه متحققة فيه صفة الغفران لمن استغفره.

خامسها: قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧] إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (ابتغاء مرضات الله وهو رؤوف بالعباد)، لكنه عبر بالمظهر في موضع المضمر فقال: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾؛ ترغيبا للمجتمع المسلم في بذل النفس لله تعالى، ومبالغة في الحض عليه، فضلا عما فيه من الدلالة على مدح من يبذلون أنفسهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، والثناء عليهم، ومن ثم فالله تعالى الأعظم ذو المهابة والجلال بهم رؤوف، ولهذا أسندت الرأفة إليه وأخبر بها عنه، وفي الآية موضع آخر وضع فيه المظهر موضع الضمير، وذلك في التعبير بـ (العباد) في (والله رؤوف بالعباد) ؛إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (والله رؤوف بهم) على أن معنى (مَن) عام في كل من يبذل نفسه لله تعالى، وهذا الإظهار للدلالة على استقلالية جملة التذييل بمعناها، ليكون هذا التذييل بمنزلة المثل مستقلا بنفسه، فضلا عما فيه من تشريف هؤلاء العباد من خلال هذا الوصف، وبيان سبب الرأفة بهم، من أنهم جعلوا أنفسهم عبادا لله تعالى، وأنه سبحانه من رحمته ورأفته بهم يكلفهم التقوى ويعرِّضهم للثواب [1].

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ١/٢١٢.

سادسها: قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] حيث إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (فأتوهن من حيث أمركم الله إنه يحب التوابين...)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وعبَّر بالمظهر (إن الله) في موضع المضمر؛ للترغيب في التوبة والتطهُّر، والمبالغة في تأكيد حض المجتمعات المسلمة عليهما؛ لأن في ذكر الاسم الأعظم (الله) دلالة على تعظيم الأمر وتفخيمه، وضرورة الالتزام فيه بأمر الله، فضلا عما في الإظهار من دلالة على استقلالية الجملة بمدلولها لجريانها مجرى المثل.

سابعها: قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ ..... وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥] فمقتضى الظاهر أن تكون العبارة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أنه غفور حليم)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وأظهر الاسم الأعظم (الله) في مقام الإضمار؛ ترغيبا في الرجوع إليه سبحانه، واللجوء إلى حلمه وغفرانه بعد "قطع هواجس التساهل والتأول في هذا الشأن [أمر التعريض بالخطبة قبل انتهاء العدة]؛ ليأتي الناس ما شرع الله لهم عن صفاء سريرة من كل دخَلٍ وحيلة(١)".

(١) ينظر جامع لطائف التفسير، عبد الرحمن بن محمد القماش،٢/٢٦٢.

سابعها وثامنها: قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٣-٢٤٤] الآيتان في سياق الترغيب في الجهاد في سبيل الله، فقوله: (ألم تر إلى الذين خرجوا...) استئناف ابتدائي للتحريض على الجهاد والتذكير بأن الحذر لا يؤخر الأجل، وأن الجبان قد يلقى حتفه في مظنة النجاة(١)؛ ولهذا أظهر الاسم الجليل (الله) في موضع الضمير، إذ الأصل أن تكون العبارة (...فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إنه لذو فضل على الناس)، ولكنه عدل عن الإضمار في قوله: (إن الله لذو فضل على الناس) بإحيائهم بداءة، وعلى الذين خرجوا فأماتهم ثم أحياهم، ومن ثم فليبذلوا نفوسهم في سبيله؛ إعلاء لكلمته، ونصرةً لدينه وشرعه، كما أظهر الاسم الجليل (الله) أيضا في (واعلموا أن الله سميع عليم) بعد (وقاتلوا في سبيل الله)، إذ الأصل أن تكون العبارة (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أنه سميع عليم)، ولكنه عدل عن ذلك؛ مبالغة في زيادة حث المجتمع المسلم فرادى وجماعات على الجهاد والقتال في سبيل الله، تنبيهاً لهذه الأمة أن لا تفر من الموت كفرار أولئك ، وتشجيعاً لها ، وتثبيتاً، فضلا عما فيه من التحذير من ترك القتال في سبيله من خلال تذكيرهم بإحاطة علمه، فهو سبحانه يسمع ما يقوله المتخلفون عن القتال والمتبادرون إليه، ويعلم ما انطوت عليه النيات، ويجازي على ذلك(٢).

---

(١) ينظر: السابق، ٤٥١/٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط، ٢٦١/٢.

تاسعها: قوله:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١] حيث إن الظاهر يقتضي أن تكون العبارة (والله يضاعف لمن يشاء وهو واسع عليم)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم (الله) في ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ لترغيب المجتمع في الإنفاق في سبيل الله، وتأكيد الحض عليه، من خلال بيان أن المضاعفة درجات كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى الواسع الغني الذي لا تنفد خزائنه، فضلا عما في الإظهار من دلالة على إمكانية استقلالية الجملة بمعناها؛ لجريانها مجرى المثل.

عاشرها: قوله:﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٦٨] الوارد في سياق ممتد من الترغيب في الإنفاق، فقبله مباشرة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧] ولهذا بينت الآية حجة الشيطان وحيلته في تثبيط مجتمع المؤمنين عنه، من خلال إيعادهم الفقر، فيأتي الرد من الله سبحانه بوعد المنفقين بالمغفرة والزيادة التي تنفي حيل الشيطان وتدحض حججه المثبطة عن الإنفاق، ولهذا أظهر الاسم الجليل (الله) في موضع الإضمار، مخبرا عنه بما ينبئ عن سعة العطاء (والله واسع عليم)؛ ترغيبا في أمر الإنفاق زيادة على الترغيب

المفهوم من الوعد بالمغفرة والزيادة في (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا)، هذا فضلا عما في الإظهار من إمكانية استقلال الجملة بمضمونها؛ لجريانها مجرى المثل.

المطلب الرابع: وضع المظهر موضع المضمر؛ احتياطا؛ للتحذير من الشيء، والترهيب منه، وزيادة النكير عليه.

كما جاء وضع المظهر موضع المضمر احتياطا؛ لترغيب المجتمع في الشيء، وزيادة الحث عليه، يأتي أيضا لتحذيره من الشيء، والترهيب منه، وزيادة النكير عليه، وقد جاء ذلك في سورة البقرة في ستة عشر موضعا، في الآيات:(٧٤، ٧٦، ١٠٤، ١٤٤، ١٤٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٧٦، ٢٨٤)، **أولها:** قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ....وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤] في سياق الحديث عن قسوة قلوب بني إسرائيل، وتعطيلهم حدود الله تعالى بمداراة جرائم كبرائهم، وكتم علمهم بها ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾، حيث أظهر لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وإن منها لما يهبط من خشية الله وما هو بغافل عما تعملون)، لكن النظم عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأجل؛ تحذيرا لمجتمعهم، ببيان أنه تعالى محيط بنواياهم وأفعالهم، وأنه مؤاخذهم عليها، وفي ذلك ما فيه من الوعيد والتهديد والترهيب الذي ناسبه إظهار الاسم الجليل المشعر بالهيبة والرهبة،

والذي يتلاقى مع سياق الشدة والتهديد على العصيان، فقوله: (وما الله بغافل عما تعملون) تذييل في محل الحال، لتهديدهم ووعيدهم على ضلالهم ومحاولتهم إضلال غيرهم؛ وبيان أنه – سبحانه – ليس غافلا عن أعمالهم وصدهم المؤمنين بطريق الخفية، بل سيجازيهم على هذه المسالك الخبيثة فى الدنيا والآخرة، ولهذا ختمت الآية الكريمة ببيان أن الله – تعالى – محيط بكل ما يصدر عنهم من أقوال أو أعمال وليس غافلا عنه، بخلاف الآية الأولى التي كان كفرهم فيها بطريق العلانية، ولهذا ختمت ببيان أن الله مشاهد لما يعملونه ولما يجاهرون به.

ثانيها: قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٦] الآية واردة في سياق الحديث الداخلي بين المنافقين (وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ)، وكان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (ليحاجوكم به عنده)، ولكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وعبَّر بالمظهر (ربكم)؛ تكثيرا للمعنى، ومبالغة في تأكيد النكير على مجتمع اليهود، وتشديد التوبيخ المفاد من الاستفهام الإنكاري (أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ)[1] تحذيرا لهم، وترهيبا من فعلهم، كما أن في اصطفاء لفظ (ربكم) هنا؛ زيادة في توبيخهم، وكشف ذميم صفاتهم، ومكرهم، فهم يلومون من يتحدث بما فتح الله عليه منهم إلى المسلمين، ويوبخونه على ذلك بتذكيره بمحاجة المؤمنين له أمام المحسن إليه (ربكم)؛ لترغيبه في المراوغة والكذب والمكر فيما يحدِّث به

(١) ينظر: روح المعاني، الآلوسي،١/٣٠٠.

الذين آمنوا، كم هي مغالطة كبيرة، ومكر عظيم، وفساد كبير، تستحق التحذير والترهيب منها.

ثالثها: قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٤٠]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وما هو بغافل عما تعملون)، لكن النظم وضع المظهر موضع المضمر؛ إبلاغا في تهديد مجتمع أهل الكتاب، وترهيبهم، وتحذير الكاتمين خاصَّة أهل الكتاب من الأحبار والرهبان ومن هم على شاكلتهم، ممن تركوا أمتهم على عقائد الخطأ والضلالة وهم ساكتون لا يغيرون عليهم إرضاء لهم، واستجلابا لمحبتهم، تهديدهم بأن الله تعالى ليس بغافل عن أعمالهم، بل هو تعالى يحصيها عليهم، وإذا لم يفعل عنها كان مجازياً عليها(١)، قال أبو السعود: "وهو وعيدٌ شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتبُ عليها من الأعمال السيئة(٢)".

رابعها: قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ....وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤]، إذ مقتضى النظم أن تكون العبارة (وما

(١) ينظر: البحر المحيط، ٤٣٣/١.

(٢) تفسير أبي السعود، ١١٥/١.

هو بغافل عما يعملون)، فعدل النظم عن ذلك، وأظهر الاسم الأجل (الله) في موضع الضمير؛ إبلاغا في تهديد مجتمع أهل الكتاب، وتحذيرهم ووعيدهم على ما هم عليه من المكابرة والعناد بسبب عملهم بغير ما علموا؛ تحقيقا لمجازاتهم على سوء صنيعهم.

خامسها: قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٤٨]، حيث عدل إلى الإظهار في موضع الإضمار، وأصل العبارة (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إنه على كل شيء قدير)؛ تهديدا وترهيبا وتحذيرا لمن يكتم الحق، ويشايع ويتابع أهل الباطل والأهواء، ومن لم يستبق الخيرات، بأن الله تعالى الأعظم قادر على الإتيان به ومجازاته من أي مكان وفي أية جهة.

سادسها: قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:١٩٠ – ١٩١] إذ إن المراد بالكافرين: الذين يقاتلون المؤمنين، وقد ورد التعبير عنهم في صدر الآية في ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، ثم عبر عنهم بعد ذلك بالضمير في (واقتلوهم)، و (حيث ثقفتموهم)، و (أخرجوهم)، و (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام)، و (فإن قاتلوكم فاقتلوهم)، وكان مقتضى الظاهر أن يستمر السياق في الإضمار وأن تكون العبارة (كذلك جزاؤهم)، لكن النظم

الحكيم عدل عن ذلك وأظهر (الكافرين) في مقام الإضمار؛ نعيا عليهم بالكفر، وترهيبا للمجتمع والأفراد من قتال المؤمنين ومعاداتهم، وتحذيرا من ذلك أشد تحذير(١).

سابعها: قوله: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة:١٩٦] إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (واتقوا الله واعلموا أنه شديد العقاب) لكنه عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم (الله)؛ احتياطا لزيادة تحذير المجتمع المسلم وترهيبه من التهاون في أحكام الحج والعمرة التي لا تخلو من مشقة، ودلالة على ضرورة الاهتمام بها، وأدائها على الوجه الصحيح، كما كان يؤديها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يتلاقى مع افتتاح الجملة بالأمر بالعلم (وَٱعۡلَمُوٓاْ) الدال على تحقيق الخبر وتأكيده؛ لأن العلم بالخبر يحصل من الخبر نفسه، فلما أراد تحقيق الخبر قال: (وَٱعۡلَمُوٓاْ) تحقيقا له، كأنه يقول: إنه ليس مجالا للشك.

(١) ينظر: روح المعاني، الآلوسي،١/٤٧١.

ثامنها: قوله: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١١]، إذ مقتضى السياق أن تكون العبارة (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنه شديد العقاب)، لكن النظم عدل وأظهر لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار؛ احتياطا "لإدخال الروع في ضمير السامع، وتربية المهابة[1]" في قلوب الذين يبدلون نعم الله؛ تحذيرا لمجتمع اليهود، وتهديدا على شنيع فعلهم، وتوعدهم على ذلك بشديد العقاب من المهاب ذي الجلال، الذي يوجب ذكره في الكلام مهابة تتلاقى وسياق الحديث عن تبديل آيات الله سبحانه.

تاسعها: قوله: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة:٢٢٠] فمقتضى الظاهر (ولو شاء الله لأعنتكم إنه عزيز حكيم)، ولكنه عدل عن ذلك، وأظهر لفظ العظمة (الله) في مقام الإضمار؛ تحذيرا وترهيبا للمجتمع المؤمن من المشقة والعنت الذي أفضى إليه إهمال أمر اليتامى، وترك مخالطتهم، والبعد عما يصلحهم.

عاشرها: قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٢٤]، حيث وضع المظهر (الله) موضع المضمر في سياق النهي عن اللغو في اليمين؛ تحذيرا وترهيبا من الاستهانة باسم الله تعالى، وجعله عرضة للأيمان في غير ما حاجة إليها،

(١) ينظر: السابق، ٢/٢٩٣.

فضلا عما فيه من دلالة على إمكانية استقلالية الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

حادي عشر، وثاني عشر: قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩– ٢٣٠] حيث وضع المظهر موضع المضمر في ثلاثة مواضع من الآية الأولى (٢٢٩)، إذ الظاهر أن تكون العبارة (...إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدوده فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدوده فلا تعتدوها ومن يتعد حدوده فأولئك هم الظالمون)، وفي موضع واحد من الآية الثانية (٢٣٠)، حيث إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...إن ظنَّا أن يقيما حدود الله وتلك حدوده يبينها لقوم يعلمون)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، وأظهر الاسم الأجلَّ في موضع الضمير؛ مبالغة في التحذير والترهيب والزجر لمن يتجرأ من أفراد المجتمع ويتجاوز تلك الحدود التي شرعها الله تعالى في أمر الطلاق والرجعة، فهي حدود الله الأجل الأعظم، الذي يوجب ذكره في القلوب مهابة، وفي النفوس روعة تردع المتجاوزين الذين يخالفون أحكامه.

ثالث عشر: قوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١] إذ الأصل أن تكون العبارة (ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمته عليكم ..... واتقوه واعلموا أنه بكل شيء عليم)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبَّر بالمظهر في موضع الضمير تحذيرا وترهيبا من ظلم النفس الذي يفضي إلى إمساك الزوجات ضرارا لمجرد الاعتداء والتعدي على حقوقهن جحودا لنعم الله تعالى ولما بينه في كتابه من الشرائع، فهو سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه شيء، القدير الذي لا يحول بينه وبين عقاب المخالفين شيء.

رابع عشر: قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ..... وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] مقتضى الظاهر أن يكون التعبير (واتقوا الله واعلموا أنه بما تعملون بصير)، لكنه وضع المظهر (الله) موضع الضمير مبالغة في التحذير والتخويف والحث على مراقبة ما شرع الله تعالى في أمر الرضاع، من غير تحايل أو رعاية منفعة دنيوية أو مكايدة.

خامس عشر: قوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، عوضا من (يمحق الله الربا ويربي الصدقات ولا

يحب، أو وهو لا يحب كل كفار أثيم)؛ ترهيبا وتحذيرا للمجتمع من الربا وسوء عاقبته في الدنيا بالمحق، وفي الآخرة بالعقاب الشديد، ولهذا أظهر الاسم الأعظم الذي يوجب ذكره في الكلام مهابة وتخويفا، فضلا عما في الإظهار من إمكانية استقلال الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

سادس عشر: قوله:﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية واردة في سياق بيان كمال ملكية الله تعالى لهذا الكون، وكمال تصرفه فيه، وشمول علمه وقدرته، ما يُمَكِّنه من المحاسبة والمجازاة على ما خفي وما ظهر من أعمال النفوس والأبدان، وهذا ما يتلاقى معه ويلائمه ويناسبه إظهار الاسم الأعظم في موضع الضمير؛ تحذيرا وترهيبا للمجتمع كله من المحاسبة علة مخالفة أمره وعصيانه في السر أو في العلن؛ لأنه العليم بما ظهر وبطن، القدير على كل شيء، ولهذا أظهر لفظ الجلالة (الله) في (يحاسبكم به الله)، وفي (والله على كل شيء قدير)؛ إذ كان يكفي في العبارة – لولا إرادة التحذير والتخويف والزجر — (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به وهو على كل شيء قدير).

المطلب الخامس: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر لتعيين المقصودِ بالذات، أو الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم سابقتها.

يأتي المظهر في موضع المضمر في بعض سياقات الكلام احتياطا؛ لتعيين المقصود نصًّا بالذات، احترازا من العموم أو الشمول الذي قد يُفهم من الضمير، وقد جاء ذلك في سورة البقرة في ثمانية مواضع في الآيات: (٢٢، ٢٣ ،٣٤ ، ١٠١ ،١٤٥ ،١٦٥، ٢٤٦، ٢٥٨)، وجاء للدلالة على عدم دخول الجملة في حكم سابقتها، والإشارة إلى الشروع في كلام جديد في موضع واحد في الآية: (١٣٢)، أما آيات وروده للتعيين **فأولها**: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، بعد قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (فلا تجعلوا له أنداد وأنتم تعلمون)؛ إذ جملة النهي (فَلَا تَجْعَلُوا۟) مترتبة على جملة الأمر (ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ)، لكن النظم عدل عن ذلك، وعبَّر بالمظهر (الله) في موضع المضمر لتعيين المقصود بالذات بعد تعيينه بالصفات[1]، من خلال توضيح أنه الله المستحق لإفراده بالعبادة، المنزه عن الأقران والأنداد، مع الإشارة بجملة الحال (وأنتم تعلمون) إلى علمهم بوحدانيته وأحقيته في العبادة؛ إذ كانوا في الجاهلية

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ٦٢/١.

يعتقدون أن الله خالق الآلهة، وأن آلهتهم شفعاؤهم عند الله، وأنهم إنما يعبدوهم ليقربوهم إليه زلفى، حيث كانوا يقولون في التلبية: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، ملكته وما ملك"، وبذلك يكون الأسلوب جمع بين توبيخهم على ما أهملوا وأضاعوا من رجاحة عقولهم وسلامة مداركهم، وإلهابهم وإثارة هممهم بما أثبت لهم من علم ورجاحة عقل ورأي، أي: أنتم من ذوي العلم والتمييز بين الحقائق والإدراك للطائف الأشياء والاستخراج لغوامض الدلائل، في الرتبة التي لا تليق لمن تحلى بها أن يجعل لله نداً وهو خلقه؛ لأن ذاك فعل من كان أجهل العالم وأبعدهم عن الفطنة وأكثرهم تجويزاً للمستحيلات، فضلا عما فيه من دلالة على قبح المنهي عنه، ووجوب اجتنابه، ولهذا حذف مفعول يعلمون؛ لأن المقصود إثبات أنهم من أهل العلم والمعرفة (١).

ثانيها: قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]، إذ الظاهر أن تكون العبارة (وادعوا شهداءكم من دوننا)، لكن النظم عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم؛ لتعيينه الذي يشي بتوبيخ مجتمع المشركين على إشراكهم به مَن هو دونه، وتعجيزهم وشركائهم عن معارضة القرآن، فأمره تعالى إياهم بالمعارضة وبدعاء الأنصار والأعوان، مع علمه أنهم لا يقدرون على ذلك، أمر تهكم وتعجيز، وقد بين تعالى بعد ذلك أن ذلك لا يقع منهم، سيما تفسير

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ٦٢/١، والبحر المحيط،٢٤٠/١.

الشهداء بآلهتهم؛ لأنها جماد لا تنطق ، فالأمر بأن يستعينوا بما لا ينطق في معارضة المعجز غاية التهكم بهم (١).

ثالثها: قوله:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، في سياق الحديث عن قصة آدم عليه السلام والملائكة، من أول قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]، وكان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وإذ قلنا لهم اسجدوا له...)، فالسياق كما سبق للحديث عنهم، وقد جرى الحديث عنهم بالإضمار في قوله قبلها: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٣]، لكنه عدل عن ذلك وأظهر (الملائكة) و (آدم) في موضع الإضمار؛ لتعيين من يسجد لآدم بالذات (الملائكة)، وتعيين من يُسجَدُ لله سبحانه (آدم)، وبيان أن ذلك خاص بكلا الطرفين، بحيث لا يجوز، بل يُمنع منعا باتا لغير الملائكة أيًّا كان أن يسجدوا لغير (آدم) أو أن يسجد آدم أو غيره لغير الله تعالى؛ حتى لا يسجُد بشرٌ لبشر، أو أن يؤمر بشرٌ بالسجود لبشر بعد ذلك، هذا فضلا عما فيه من تفخيم وتعظيم أمر آدم عليه السلام؛ حيث

(١) ينظر: البحر المحيط، ٢٤٨/١.

أمر الله تعالى عباده المقربين (الملائكة) بالسجود له تعظيما لشأنه، وإيذانا بأن ذلك نعمة جليلة مستقلة، حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها بعد نعمتي الخلق والاستخلاف في الأرض(١).

رابعها: قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١]، سياق الآيات الممتد في الحديث عن اليهود وجحودهم وكفرهم بعد الإنعام عليهم في ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، والسياق الممتد كله لهم، فقبل الآية التي معنا مباشرة عبَّر عنهم بالضمير في ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩]، وكان مقتضى الظاهر أن يستمر ذلك فيأتي التعبير بالضمير، فتكون العبارة (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق منهم ...)، لكنه عدل عن ذلك وعبر بالظاهر (نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ)؛ لتعيينهم نصًّا عليهم بالذات؛ إبلاغا في سوء صنيع مجتمع أهل الكتاب، وقبح فعالهم، وتنكرهم لما ينبغي، ومخالفتهم الأولى لمثل حالهم، فهم الذين أوتوا الكتاب، وعرفوا الحق بعلاماته ودلائله، فكان مقتضى علمهم ومعرفتهم أن يؤمنوا برسول الله، ويحافظوا على كتاب الله، لكنهم تنكبوا لكتاب الله، وعادوا رسوله، فيا قبح ما فعلوا، ويا سوء ما صنعوا!!!

(١) ينظر: تفسير أبي السعود،١/٧٨.

خامسها: قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥]، حيث كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (... أندادا يحبونهم كحبه والذين آمنوا أشد حبا له...ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة له وأنه شديد العذاب)، لكنه عدل عن ذلك وأن يظهر الاسم الأعظم (الله) في موضع الضمير في أربعة مواضع من الآية؛ لتعيين المقصود بالذات؛ زيادة في تشنيع فعل مجتمع المشركين، الذين اتخذوا من دون الله أندادا، وأشركوهم المحبة، وبيانا لسوء عاقبتهم إن هم استمروا عليه.

فإظهار لفظ الجلالة في الموضع الأول (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) تفظيع لحالهم في اتخاذ أنداد سَوَّوها بالله تعالى في محبتها والاعتقاد فيها، ودلالة على انحطاط عقولهم وتشويه معتقدهم.

أما إظهار الاسم الأعظم في الموضع الثاني (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ)؛ فلتعيينه بالذات عقب تعيينه بالصفات[1]؛ تنقيصا للمشركين حتى في إيمانهم بآلهتهم، وفي حبهم لها، حيث كانوا كثيرا ما يعرضون عنها إذا لم يجدوا منها ما أمَّلوه، فيعترفون به تعالى ويلجأون إليه في الشدائد، وإظهار الاسم الأعظم في (وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)؛ للدلالة على أن ذلك- الاتخاذ- ظلم عظيم، وأن اتصاف المتخذين

(١) ينظر: روح المعاني، ٤٣٢/١.

به أمر معلوم مشهور، حيث عبر عنه بمطلق الظلم، والموصول والصلة؛ للإشعار بسبب رؤيتهم العذاب[1]؛ تفخيما للخطب وتهويلا وتفظيعا للأمر، تلاقيا مع حذف جواب الشرط (ولو يرى...)؛ لتذهب النفس في تصوير هذه القوة، وتصوير الجواب المحذوف كل مذهب، وتلاقيا أيضا مع تعريف القوة بلام الاستغراق، ومع التوكيد بـ (جميعا) الدالان على عدم الاعتداد بقوة غيره، والجملة تذييل لتأكيد الوعيد، وبيان حال المشركين في الآخرة[2].

أما إظهاره في جملة التذييل (وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ) فلتعيينه مبالغة في تشنيع فعالهم، وتفظيع حالهم؛ إذ جعلوا لله الأعز الأعظم، شديد العذاب شركاء وأندادا، اعتقدوا ألوهيتها معه، وأشركوها المحبة، ولم يحسبوا حساب اليوم الذي يردون فيه على عذابه الشديد[3].

سادسها: قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ

(١) ينظر: روح المعاني، ١/٤٣٣.

(٢) ينظر: روح المعاني،١/٤٣٤.

(٣) ذكر ابعض المفسرين أن التعبير بـ (الذين ظلموا) في (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب...) من الإظهار في موضع الإضمار، وأن الذين ظلموا هم الذين اتخذوا من دون الله أندادا، وأن سره أن يكون شاملا لهؤلاء المشركين وغيرهم، وأرى أنه ليس من الإظهار في موضع الإضمار؛ لأنه لا يصح هنا تقدير الضمير، إذ لا يستقيم أن تكون العبارة (والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يروا إذ يرون العذاب...)؛ إذ لو جاءت هكذا لالتبس المعنى، ولأشكل مرجع الضمير؛ لأن أقرب مذكور يمكن أن يعود عليه الضمير هو (والذين آمنوا)، والمعتمد في وضع المظهر موضع المضمر أن يستقيم الكلام بتقدير المضمر.

شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٤،١٤٥]، حيث كان مقتضى الظاهر التعبير بالضمير (ولئن أتيتهم بكل آية...)، ولكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وعبَّر بالمظهر (وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ)؛ لتعيين مجتمع أهل الكتاب بالذات بوصفهم الذي يؤذن بكمال سوء حالهم من العناد، مع تحقيق ما ينافيه من الكتاب الذي أوتوه، الصادح بحقيَّة ما كابروا في قبوله بكل آية وحجة قطعية دالة على أن توجهك إلى الكعبة هو الحق، وتسرية وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ببيان أنهم ما تركوا قبلته لشبهة تدفعها بحجة وإنما خالفوه لمحض العناد، وبحت المكابرة(١).

سابعها: قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ۘ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٤٦]، الآية في سياق

(١) ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ١/ ٤٠٩، ٤١٠.

الحديث عن خصال بني إسرائيل، التي منها ترددهم وإخلاف وعودهم ونكوصهم على أعقابهم بعد تحقيق مطالبهم، حيث بينت الآية أنهم طلبوا من أحد أنبيائهم أن يشرع لهم القتال في سبيل الله (إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)، فلما أجيبوا فيما طلبوا (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)، ولهذا أراد الله عز وجل في هذه الآية أن يظهر هذا الخلق فيهم، ومن ثم أظهر لفظ (القتال) في موضع الضمير؛ لتعيينه، والنص عليه بالذات، فضحا لمجتمع أهل الكتاب، وإظهارا لشنيع صفاتهم وقبيح خلالهم وفعالهم، حيث طلبوا أن يشرع لهم القتال، فقررهم أن إذا كتبه عليهم هل يقاتلوا؟ (قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ)، فأجابوه قائلين: (وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا)، فلما كُتب عليهم القتال (ذاته) الذي طلبوه نكصوا على أعقابهم، وتولى أغلبهم..

ثامنها: قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، إذ الظاهر أن تكون العبارة (... في ربه أن آتاه الملك)، لكنه عدل عن ذلك وعبر بالمظهر (أن آتاه الله الملك) لتعيين أن الذي أعطاه الملك هو الملك الأعظم، الواحد

الأحد (الله) الأجل سبحانه، مالك الملك، ولهذا كان اصطفاء التعبير به من دون لفظ (رب) وأظهره؛ تعيينا له؛ لأن لفظ رب يمكن أن يطلق على غيره سبحانه، ولو جاء التعبير بالضمير لربما توهم غير المراد.

وأما الآية التي جاء فيها وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على عدم دخول الجملة في حكم سابقتها، والإشارة إلى الشروع في كلام جديد فقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]، بعد السياق الممتد في الحديث عن الخليل إبراهيم عليه السلام، فقبل هذه الآية ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣٠–١٣١]، وعليه كان مقتضى الظاهر أن يضمر غير أن السياق عدل عن ذلك وعبر بالمظهر في موضع الضمير وعطف على إبراهيم بنيه ويعقوب..."؛ للدلالة على أنه شروع في كلام آخر؛ لبيان تواصي الأنبياء باستمساك الدين الحق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمة، والشرع المستقيم نسلا بعد نسل.... (١)"، بعد أن انقضى الكلام عن ملة إبراهيم ومناقبه (اصطفائه وصلاحه وإسلامه لرب العالمين).

(١) روح المعاني ، الآلوسي،١/٣٨٧.

المطلب السادس: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر لزيادة التقرير والتمكين.

يأتي وضع المظهر موضع المضمر في الكلام؛ احتياطا؛ لزيادة تقرير المعنى وتأكيده وتمكينه، قال ابن جني: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته، واحتاطت له"(١)، فالاحتياط أسلوب اتبعته العرب لتمكين المعنى(٢)، وقد ورد ذلك في سورة البقرة في ثلاثة عشر موضعا في الآيات: (٦١، ٨٠، ١٠٥، ١٠٦ – ١٠٧، ١٤٦ – ١٤٧، ١٤٩، ١٧٢، ١٧٧، ١٨١، ١٨٩، ٢١٤، ٢٤٧، ٢٤).

أولها: قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١]، الآية واردة في سياق الحديث عن بني إسرائيل ومقابلتهم نعم الله تعالى بالفساد والإفساد في الأرض، والكفر بآيات الله، وقتل أنبيائه ورسله بغير حق، والعصيان والعدوان، واستبدال ما هو أدنى بالذي هو خير، ومقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآياته ويقتلون...)، لكن النظم الحكيم عدل عن

(١) الخصائص، ابن جنى، ١٠١/٣.

(٢) ينظر: ابن جني بلاغياً في كتاب الخصائص، ص١٤.

ذلك، وعبر بالمظهر في موضع المضمر (...وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ)؛ لتقرير جحودهم نعم الله تعالى، وتأكيد كفرهم بآياته، وتمكينا لاستحقاقهم ما جاءت الجملة _ (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ) وما عطف عليها _ لتعليله، من ضرب الذلة والمسكنة عليهم، وتبوئهم بغضب من الله سبحانه، وما ذلك إلا لكفرهم بآيات الله، وقتلهم أنبياءه.

ثانيها: قوله: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٨٠]، الآية ورادة في سياق بيان مجموعة من عقائد بني إسرائيل من (تبديل كتاب الله وتحريفه، وأخذهم به المال الحرام ، وكذبهم على الله...)، ثم الإشاعات التي يشيعونها بين الناس بألسنتهم (عدم المؤاخذة والأمن من العذاب إلا أياما معدودة)، ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾، وهو ما ينبئ عن غرور عظيم أكسبهم الجرأة على تحريف كلام الله ومعاداة رسله، والكذب عليه من خلال الإخبار بالكذب البحت عن مدة إقامتهم في النار(١).

ومن ثم جاء الرد عليهم **بطريقتين، الأولى**: إلجاؤهم إلى الإقرار والاعتراف بأن ما أشاعوه من نفي المؤاخذة عنهم وأمن العذاب غير صحيح، وذلك من خلال الاستفهام التقريري (أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ

(١) ينظر: البحر المحيط، ٤٤٤/١، ٤٤٥.

ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ) الذي أظهر فيه لفظ الجلالة في موضعين مع إمكانية إضماره؛ إذ كان يصح (أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف عهده أم تقولون عليه ما لا تعلمون)، لكنه عدل عن ذلك وأظهر لفظ الجلالة في موضع الإضمار؛ زيادة في تقرير وتمكين وتأكيد كذبهم فيما أشاعوه من ادعاء الأمن من العذاب، ونفي المؤاخذة إلا أياما معدودة.

وفي الآية موضع آخر جاء الاحتياط فيه بوضع المظهر موضع الضمير؛ تقريرا للمعنى، وزيادة في تمكينه، وذلك حيث عبر بـ (فلن يخلف الله عهده) بعد وجود لفظ (عهدا) في مطلع الآية (أتخذتم عند الله عهدا) ومن ثم كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة: (أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلفه الله)، لكنه عدل عن ذلك وأظهر لفظ (عهده)؛ إبلاغا في تأكيد نفي اتخاذ العهد المدلول عليه بالاستفهام، ونفي الإخلاف؛ لأن معنى الإنكار في الاستفهام أنه ليس واحد من الأمرين واقعا(١).

الطريقة الثانية في الرد عليهم: إبطال قولهم من خلال التعبير بحرف الجواب في ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١]، بعدها، فجاءت (بلى) لتكذيبهم والرد عليهم، أي: ليس الأمر كما تقولون، بل أنتم تمسكم النار مدة طويلة.

(١) ينظر: نظم الدرر، ١/١٧٨.

ثالثها: قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]، الآية واردة في سياق نهي المؤمنين عن الركون إلى أهل الكتاب وترديد أقوالهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة:١٠٤]، وتعليل ذلك النهي بأنهم لا يودون الخير للمؤمنين حقدا وحسدا وكراهية، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ذلك(١)، ثم بين أن نعم الله تعالى لا تدرك بالأماني، إنما هي مواهب منه يختص بها من علم أنه حقيق بها من خلقه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ تعريضا بمجتمع اليهود، وكشفا عن سبب عدم إيمانهم بالقرآن، والإعراض عنه، وقولهم البهتان، وبيان أنه سبحانه وحده هو المتحكم في أمر إنزال كتبه وإرسال رسله، والمتفضل به ابتداء، وأنه يختص به من يشاء، وليس لغيره شأن في ذلك ولا تأثير، ولهذا جاء التذييل ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، وعليه كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وهو ذو الفضل العظيم)؛ لوجود مرجع قريب للضمير، لكنه عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ زيادة في تقرير وتمكين اختصاصه

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢/٤٧٠، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

سبحانه بذلك، وعدم إمكانية تغييره أو تبديله حسب الأهواء، وفي ذلك أيضا ما فيه من التعريض باليهود والنعي عليهم بمخالفة مراده تعالى في اصطفاء النبي الخاتم من ولد إسماعيل.

رابعها: قوله: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٠٦–١٠٧]، حيث أظهر الاسم الأعظم في ثلاثة مواضع من الآية؛ إذ الآية مفتتحة بضمير المتكلم (ما ننسخ)، فكان مقتضى الظاهر أن يسير النظم على هذ النمط من الإضمار وتكون العبارة (ألم تعلم أني أو أننا... ألم تعلم أن لي أو أن لنا ملك السماوات والأرض...وما لكم من دوني أو من دوننا من ولي ولا نصير)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر في موضع الإضمار؛ لتقرير وتمكين حكمة النسخ الذي استبعده مجتمع اليهود وتذرَّعوا به لتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أنه غير مفارق لتعويض المنسوخ بخير منه أو بمثله من خلال الإحالة على قدرة الله تعالى التي لا يشذ عنها ممكن، وعلى سعة ملكه المشعر بعظيم علمه، وعلى حاجة المخلوقات إليه، إذ ليس لهم من رب سواه، ولا من ولي دونه؛ لأن التصدي للبيان أمر لم تتهيأ له العقول بعد، ومن ثم فإن تفصيله يفتح باب الجدال في إثبات المصلحة حسب اختلاف القرائح وتفاوت الفهوم، فالخروج من ضمير المتكلم المعظم نفسه، إلى الاسم الظاهر (الله) لأنه الاسم العلم الجامع لسائر الصفات، وفي ضمنه صفة القدرة، فهو أبلغ في نسبة القدرة

إليه من ضمير المتكلم المعظم ، فلذلك عدل عن قوله : (ألم تعلم أننا) (إلى قوله: (ألم تعلم أن الله)، فضلا عما في إظهار الاسم الجليل من الاكتفاء به دليلا على أنه يحملهم على مصالحهم في سائر الأحوال، على معنى أن الاستفهام في (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) للتقرير، والمعنى: قد علمت أيها المخاطب أن الله قادر على كل شيء، فله التصرف في تكاليف عباده، بمحو وإثبات وإبدال حكم بحكم، وبأن يأتي بالأخير لكم وبالمماثل(١)، وتعريضا باليهود الذين لا يعجبهم في أقدار الله وأفعاله إلا ما يوافق أهواءهم، تلاقيا مع ما أفاده قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾[البقرة:١٠٥].

خامسها: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [البقرة:١٤٦– ١٤٧]، حيث ورد ذكر كلمة (الحق) في الآية الأولى في (وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ)، وعليه فقد وجد مسوغ الإضمار بعدها؛ لوجود ما يمكن عود الضمير إليه، ولكنه عدل عن ذلك وعبر بالمظهر فقال: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾؛ تأكيدا وتثبيتا وتقريرا لحقيَّة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وكَتَمَه أهل

(٢) ينظر: البحر المحيط، ١/٥١٥.

الكتاب، مع معرفتهم اليقينية به، و(مِن رَّبِّكَ) زيادة في تمكين حقيته؛ تحقيقا للنهي عن الامتراء فيه في فاصلة الآية (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)(١).

سادسها: قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٩]، حيث عدل عن (وإنه للحق من ربك وما هو بغافل عما تعملون) إلى ما ورد في النظم من إظهار الاسم الأعظم (وما الله بغافل...)؛ زيادة في تقرير علم الله تعالى ما يكابده الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، وما يتحملونه في سبيل اتباع الحق باستقبال القبلة الجديدة، والتوجه إلى الكعبة المشرفة في الصلوات، لتحريض المجتمع المؤمن على الثبات عليه؛ لأنه الحق من ربكم المنعم عليكم، فضلا عن طمأنتهم بأن (الله) الأعز الأعظم ليس بغافل عن ذلك، بل هو معهم ومؤيدهم وناصرهم.

سابعها: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]، إذ الظاهر أن تكون العبارة (...واشكرونا أو اشكروا لنا...)، لكنه أظهر الاسم الجليل في موضع الضمير؛ زيادة في تقرير وتمكين استحقاقه الشكر على عظيم آلائه، مبالغة في تأكيد وجوب الشكر والحض عليه.

---

(١) روح المعاني، الآلوسي،٤١٢/١.

ثامنها: قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنه من آمن بالله.....)؛ لأن لفظة البرّ مذكورة وقريبة، ولو أضمر لكان المعنى واضحا وظاهرا لا لبس فيه، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك، فعبَّر بالمظهر وأعاد لفظة (البر) مرة ثانية في موضع الضمير؛ زيادة في تقرير وتمكين نفي أن يكون البر مقصورا على قبلة معينة أو توجه مخصوص، ردا على مجتمع أهل الكتاب في تهويلهم على المسلمين إبطال القبلة التي كانوا يصلون إليها، وتعريضا بهم، ولهذا أظهر لفظة البر محكوما عليه بأنه الإيمان بالله وما عطف عليه من الأعمال التي تزكي النفوس، بغض النظر عن الجهة التي يتوجه إليها المرء؛ إذ الآية مسوقة لخِطَابِ أهل الكتابين- والمراد من (قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) السمتان المعينان، فإن اليهود تصلي- قبل المغرب- إلى بيت المقدس من أفق مكة، والنصارى- قبل المشرق- والآية نزلت ردا عليهم؛ حيث أكثروا الخوض في أمر القبلة، وادعى كل طائفة حصر- البر- على قبلتهم ردا على الآخر، فرد الله تعالى عليهم جميعا بنفي جنس الْبِرَّ عن قبلتيهم...، ويحتمل أن يكون الخطاب عاما لهم وللمسلمين، فيكون عودا على بدء؛ لأن

الكلام بالأساس في أمر القبلة، وطعنهم في النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ...، فجعل خاتمة كلية أجمل فيها ما فصل، وعليه يكون المراد من ذكر الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ التعميم، لا تعيين السمتين(١).

تاسعها: قوله: ﴿فَمَنْۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٨١]، إذ الأصل أن تكون العبارة (فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه عليه أو عليهم)، على حد قوله بعدها: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٨٢]، الذي جاء التعبير فيه بالضمير، لكن النظم عدل عن ذلك وأظهر (الذين يبدلونه)؛ احتياطا لزيادة تقرير خصوصية الإثم على من بدَّل (مجتمع المبدلين فقط)، فضلا عما فيه من زجر عن التبديل بشكل عام، وتحذير منه، وترهيب من عاقبته، وهذا ما يؤكده التذييل بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

عاشرها، قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:١٨٩]، حيث إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنه من اتقى...)، لكن النظم عدل عن ذلك، وأظهر لفظ البر؛ زيادة في تقرير وتمكين نفي أن يكون البر مقصورا على دخول المحرمين بالحج والعمرة

(١) ينظر: روح المعاني، ٤٤٢/١.

بيوتهم من ظهورها، ولهذا أظهره مسندا إليه محكوما عليه بأنه (البر) في تقوى الله واتباع شرعه وما فيه مرضاته واجتناب خطوات المبتدعين الذين زادوا في الحج ما ليس منه، فالبر فقط في تقوى الله تعالى بامتثال ما أمر، واجتناب كل ما نهى، ولذلك ختمت الآية بالأمر بتقواه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، وفي الآية موضع آخر وضع فيه المظهر موضع الضمير؛ حيث كان مقتضى الحال أن يكون التعبير في قوله " وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ" (وأتوها من أبوابها) لتقدم ذكر البيوت؛ لكنه عدل عن ذلك؛ زيادة في تقرير المعنى وتمكينه في النفوس، ببيان أن البر المأمور به إتيان البيوت —كل البيوت – من أبوابها.

حادي عشر: قوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة:٢١٤]، حيث إن مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (... متى نصر الله ألا إن نصره قريب)، لكنه عدل عن ذلك فأظهر لفظ الجلالة (الله) في مقام الإضمار؛ زيادة في تقرير وتمكين قرب نصره سبحانه في نفوس المجتمع المؤمن– "بعد أن حصل لهم من قوارع صدر الآية ما ملأ القلوب رعبا– إكراما لهذه الأمة بأنها لا يبلغ ما يمسها مبلغ ما مس من قبلها، وإكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بألا يحتاج إلى قول ما قالته الرسل قبله من استبطاء نصر الله، بأن يجيء نصر الله له ولأمته

قبل استبطائه، فالجملة إجابة لهم طلبهم تعجيل النصر، وإعلاماً بقربه[1]، وبأن الله سبحانه وتعالى إنما يفرج عن أنبيائه ومن معهم بعد انقطاع أسبابهم ممن سواه؛ ليمتحن قلوبهم للتقوى، فتتقدس سرائرهم من الركون لشيء من الخلق، وتتعلق ضمائرهم بالله تعالى وحده... [2]، فضلا عما فيه (بمفهوم المخالفة) من التحذير من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة بسوء عملهم، تلاقيا مع سياق العبرة والموعظة.

ثاني عشر: قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧]، الآية في سياق الحديث عن صفات اليهود واختلال الموازين عندهم، ومقتضى الظاهر أن تكون العبارة (... أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق به منه... والله يؤتي ملكه من يشاء وهو واسع عليم)، لكن النظم عدل عن ذلك ووضع المظهر في موضع المضمر في الموضعين؛ للتقرير وتمكين المعنى، فقد عبر بالاسم الظاهر (الملك) في (ونحن أحق بالملك منه)؛ زيادة في تقرير وتمكين وتأكيد إنكار مجتمع اليهود اختيار الله تعالى

(١) ينظر: البحر المحيط، ١٤٩/٢.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ٣٩٧/١، دار الكتب العلمية – بيروت١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

طالوت ملكا عليهم؛ لأن موازين الأمور عند قادتهم مختلة، فهم فضلا عن سعيهم إلى الملك ورغبتهم في السيادة، ورؤيتهم أنهم أولى بالولاية مع قصورهم في معرفة سياسة الأمم ونظام الملك، وأن شأن الملك عندهم أن يكون ذا مال، ولهذا أنكروا ملك طالوت عن طريق الاستفهام الإنكاري (أنى يكون له الملك علينا؟)، ولتأكيد إنكارهم ملك طالوت أتوا بمقابل ذلك وأكدوا أحقيتهم به، وزيادة في تأكيده وتقريره وتمكينه الدال على تمكنه في نفوسهم أظهروه في موضع الإضمار فقالوا: (...ونحن أحق بالملك منه) معللين ذلك بقلة ماله وأن شأن الملك عندهم أن يكون ذا غنى (ولم يؤت سعة من المال)، قائلين كلام من تعنتَ وحادَ عن أمر الله، وهي عادة بني إسرائيل[1]، ومن ثم جاء الرد عليهم ببيان أن مناط الأمر في شأن الولاية والسيادة إنما هو اصطفاء الله له على بني اسرائيل (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) بما أعطاه من السعة في العلم – وهو الوصف الذي لا شيء أشرف منه – ومن بسطة الجسم، فإن لذلك عظماً في النفوس وهيبة وقوّة[2]، وأن هذا كله بيد الله وحده (إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ)، وزيادة في تقرير وتمكين ذلك وإبلاغا في تأكيده أظهر الاسم الأعظم مرتين مع أن الأصل الإضمار لوجود ما يعود عليه الضمير، فقال: (وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ).

---

(١) ينظر: نظم الدرر، ٢/٢٦٦.

(٢) ينظر: السابق، ٢/٢٦٧.

ثالث عشر: قوله:﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وهو مع الصابرين)، لكن النظم عدل عن ذلك، فأظهر لفظ الجلالة (الله) في موضع الضمير؛ زيادة في تقرير وتمكين دور الصبر في نصر المجتمع المؤمن، حتى مع قلة العدد، مبالغة في حض المجتمع المؤمن عليه، وتأكيدا لمعية الله تعالى للصابرين، فضلا عما في الإظهار من إمكانية استقلالية الجملة بمدلولها؛ لجريانها مجرى المثل.

المطلب السابع: الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر للتنبيه على التَّرَتُّبيَّةِ وعِلِّيَة الحكم، أو مناسبة استقلال الجملة بمدلولها.

أ) يأتي وضع المظهر موضع المضمر في الكلام الفصيح؛ احتياطا؛ للتنبيه على التَّرَتُّبيَّة وعِلِّيَّة الحكم وبيان سببه، وقد جاء في سورة البقرة في عشرة مواضع في الآيات: (٢٧، ٣٨، ٥٩، ٨٩، ٩٠، ١٧٦، ١٨١، ١٩٠—١٩١، ٢١٣، ٢٣٣) **أولها:** قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧]، الآية واردة في سياق الحديث عن صفات الفاسقين من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، ومن أهم وأشهر هذه الصفات أنهم ينقضون عهد الله، ويخالفون أوامره، ويسعون بالفساد والإفساد في الأرض، كما حكت الآية عنهم ذلك، وقد كان مقتضى الظاهر في الآية أن تكون العبارة (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر به أن يوصل...، أو ما أمرهم به...)، لكن النظم الحكيم عدل عن ذلك وأظهر الاسم الأعظم (الله) في موضع الإضمار؛ للتنبيه على ترتُّبِيَّة فعلهم هذا (قطع ما أمر (الله) العظيم بوصله) وسببيته فيما جاء بعده من الحكم عليهم بالخسران.

ثانيها: قوله في قصة آدم عليه السلام: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، حيث سبق في الآية ذكر (الهدى) في (فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى)، وكان مقتضى الظاهر أن تأتي العبارة (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبعه فلا

خوف...)، لوجود ما يصح أن يعود إليه الضمير، لكن النظم وضع المظهر (هداي) موضع المضمر ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ ليظهر للمتلقي علَّة ما ترتَّب على اتباع هدى الله سبحانه، من نفي الخوف الذي هو كناية عن نفي العذاب والعقاب، ونفي الحزن الذي هو كناية عن إثبات الثواب، وبيان كون مجتمع المؤمنين راسخين في الهداية، هذا ما أفاده إظهار لفظ (هداي) في موضع الإضمار وإضافته إلى الله تعالى، ولو جاء النظم بالإضمار لما احتمل هذه الدلالة، قال الشهاب نقلا عن الطيبي: "وضع المظهر موضع المضمر للعلية؛ لأن الهدى بالنظر إلى ذاته واجب الاتباع، وبالنظر إلى أنه أضيف إلى الله إضافة تشريف أحرى وأحق أن يتبع(١)".

ثالثها: قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٩]، إذ المقام يقتضى الإضمار وأن تكون العبارة (فأنزلنا عليهم رجزا...)، ولكنه عدل عن ذلك وأظهر (الذين ظلموا) مع وجود مرجع واضح للضمير؛ لبيان علية الحكم بكون مجتمع اليهود راسخين في الظلم، وبكون ظلمهم وإضرارهم أنفسهم بترك ما يوجب نجاتها سببا لإنزال الرجز (العذاب) عليهم؛ إبلاغا في تقبيح أمرهم، وهذا ما أكده تذييل الآية ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾، المنبئ عن استمرار ظلمهم وفسقهم، قال الآلوسي في بيان سر الإظهار: " وضع المظهر موضع

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ١٤١/٢.

الضمير مبالغة في تقبيح أمرهم، وإشعارا بكون ظلمهم وإضرارهم أنفسهم بترك ما يوجب نجاتها، أو وضعهم غير المأمور به موضعه سببا لإنزال الرجز... [1]"، وفي ذلك تحذير شديد للمجتمع من الظلم والانحراف عن شريعة الله سبحانه.

رابعها: قوله:﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، في سياق الحديث عن اليهود، وبيان أنهم مع إيمانهم بنبيهم موسى عليه السلام إلا أنهم لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بما كانوا يعرفون أنكروا نبوته، وكفروا به، فحقت عليهم لعنة الله تعالى؛ لدخولهم بسبب كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم في عداد الكافرين المستحقين لعنة الله، وقد كان مقتضى الظاهر أن يأتي التعبير عنهم بالضمير (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله عليهم)، لكن النظم عدل عن ذلك وأظهر (الكافرين) في مقام الإضمار؛ تسجيلا على مجتمع اليهود بالكفر وعلى فعلهم بأنه من أفعال الكافرين؛ لبيان علية استحقاقهم اللعنة من الله سبحانه بسبب كفرهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أسماه كفرا، ليبين للمجتمعات والأفراد والأمم أن من كفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو من الكافرين المستحقين الطرد من رحمة الله، وإن آمنوا بما جاء به من قبله من الأنبياء، وفعلوا ما فعلوا من الصالحات،

(١) روح المعاني للآلوسي،١/٢٦٧.

إشعارا بأن علة لعنهم أنهم كافرون[1]، وأن ما حُكي عنهم وما نُسب إليهم من أعمال الكفرة، وإيذانا بأن مدار العذاب كفرهم ذاك، فضلا عن ذمهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك الكافرين، وأن أعمالهم من قبيل الكفر، قال أبو السعود: "ووضع المظهر موضع المضمر للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما أن الفاء للإيذان بترتبها عليه... [2])، فاليهود لما بالغوا في الكفر والعناد وكتمان أمر الرسول، ونعى الله تعالى عليهم ذلك، صار الكفر كأنه صفة غير مفارقة لذكرهم، وكأن هذا الكلام لازم لذكرهم ورديفه، وأنهم أولى الناس دخولا فيه؛ لكونهم تسببوا لاستجلاب هذا القول في غيرهم[3].

خامسها: قوله بعدها: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة:٩٠]، الواردة (كما سبق القول) في سياق الحديث عن تشديد الحال على اليهود ونعي حالهم إذ إنهم باءوا بغضب مضاعف في الدنيا ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ﴾، فضلا عما ينتظرهم من العذاب المهين في الآخرة، ولهذا أظهرهم في مقام الإضمار، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...ولهم عذاب مهين)؛ إشعارا أن كفرهم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو علة كون العذاب المهين

(١) ينظر: تفسير أبي السعود، ١/١٢٩.

(٢) تفسير أبي السعود، ١/١٢٩.

(٣) ينظر: روح المعاني للآلوسي، ١/٣٢٠.

لهم وسببه، وبيانا أن إيمانهم بموسى أو غيره ممن جاءوا قبله أو بعده من الأنبياء عليهم السلام من دون الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لن يجدي شيئا، ولن ينقذهم من غضب الله تعالى وعذابه المهين، قال أبو حيان: "وأقام المظهر مقام المضمر إشعارا بعلة كون العذاب المهين لهم، إذ لو أتى، ولهم عذاب مهين، لم يكن في ذلك تنبيه على العِلَّةِ[1]"، عِلِيَّةِ وتَرَتُّبِيَّةِ استحقاقهم لهذا العذاب المتراكب، الذي حُكم به عليهم، المتمثل في الغضب العظيم المستفاد عظمه من تنكيره، والمفاد تراكبه من تكراره مُنَكَّرا (فباءوا بغضب على غضب)، ثم العذاب المهين بعد هذا الغضب العظيم المتراكب (وللكافرين عذاب مهين)؛ إذ إنهم لم يكتفوا بالكفر بما أنزل الله فقط، بل تجاوزوا ذلك إلى حسد من اختاره الله سبحانه، والتعدي على الاصطفاء نفسه، على اختيار الله للرسالة الخاتمة نبيا من العرب، ولم يقبلوا ذلك حقدا وحسدا، فكأنهم نازعوه في كونه (فعال لما يريد)، وفي كونه يصطفي من عباده من يشاء، ومن ثم كان إظهار لفظ الجلالة (الله) هنا؛ تسجيلا عليهم؛ لبيان استحقاقهم هذا الكم المتراكب من الغضب في (فباءوا بغضب على غضب)، وما تلاه من عذاب عظيم شديد يعرفهم قدرهم وحدودهم، وينزلهم مكانهم اللائق بهم (مهين)، فضلا عن ذمهم، وتسفيه رأيهم، وبيان داعيهم إلى الكفر؛ إذ رضوا لأنفسهم الكفر بما كانوا يبشرون به من الاستفتاح بالنبي الخاتم، والاستنصار به قبل بعثته، وبعد بعثته كفروا به،

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٤٩١/١.

وجحدوا نبوته، وأنكروا أن يكون هو الذي يجدون صفته في كتابهم؛ عنادا وظلما وحسدا واستهانة بمن أنزل عليه(١).

سادسها: قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:١٧٦]، إذ كان مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد)، لكن النظم عدل عن ذلك وأظهر (الكتاب)؛ ليناسب استقلال جملة التذييل بذاتها، ويكون المراد بـ (اختلفوا) أن أهل الكتاب اختلفوا مع الذين آمنوا أو اختلفوا فيما يصفون به القرآن من تكذيب به كله، أو تكذيب بما لا يوافق هواهم وتصديق ما يؤيد كتبهم، وفائدة الإظهار في مقام الإضمار هنا أن يكون التذييل مستقلا بنفسه لجريانه مجرى المثل، فضلا عما يشي به من تعظيم القرآن، من خلال التنبيه على حكم من اختلفوا فيه بأنهم في شقاق بعيد.

سابعها: قوله: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٨١]، حيث أظهر (الذين يبدلونه) مع تَقدُّم ما يمكن أن يعود الضمير عليه لو قال: (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما لإثمه عليه أو عليهم) أي: فمن بدَّل الوصية بإنكارها من أصلها أو بالنقص فيها أو تبديل صفتها أو غير ذلك فما إثم ذلك إلا على المبدلين؛ لمخالفتهم ما شرع الله، ومن ثم أظهر في مقام الإضمار ؛ لبيان علة الإثم وترتُّبه على التبديل، قال

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣٨/٢، وما بعدها، وتفسير أبي السعود، ١٢٩/١.

الآلوسي: "ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على علية التبديل للإثم، وإيثار صيغة الجمع مراعاة لمعنى من، وفيه إشعار بشمول الإثم لجميع الافراد(١)".

ثامنها: قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩٠—١٩١]، تتحدث الآيات عن المحاربين من الكافرين الذين جمعوا بين الكفر وقتال المسلمين، وبينت أن الأمر بالقتل هنا لا بد أن يتحقق فيه الشرطان: الأول: قتالهم المؤمنين المأخوذ من قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾، والثاني: الكفر الذي أفاده قوله: ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وهذا ما أفاده وضع المظهر (الكافرين) موضع الضمير؛ إذ لو جاءت العبارة بالإضمار (كذلك جزاؤهم) لما كانت هناك قرينة على الشرط الثاني (الكفر) في الأمر بالقتل، ولانصرف إلى كل من يقاتل مسلما، وهذا ما لم يقصده النظم هنا، بل ما نهت عنه الشريعة، ومن ثم كان وضع الظاهر موضع الضير هنا احتياطا؛ لبيان الترتيبة وعلية الأمر بالقتل (فاقتلوهم) وبيان أن سببه اجتماع الكفر والمحاربة فيهم.

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي، ٤٥٢/١.

تاسعها: قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]، إذ مقتضى الظاهر أن تكون العبارة (...وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)، لكنه عدل عن ذلك وأظهر لفظ الجلالة؛ احتياطا؛ لبيان أن هداية الذين آمنوا إلى الحق – التي كانت بإذن الله – مترتبة عن مشيئته سبحانه، وأن مشيئته سبب هدايتهم، فضلا عما في إظهاره من تفخيم أمر هدايتهم وتعظيمه، إبلاغا في الحث على الثبات عليه، واستشعارا لهذه النعمة، وشكرا للمنعم بها.

عاشرها: قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٣]، في بيان أحكام الرضاع والنهي عن مضارة الوالدة ولدها بالتفريط أو التقصير في حقه، وعن مضارة الوالد ولده كذلك بنزعه من والدته أو غير ذلك، ولهذا جاء التعبير بلفظ (الوالد)، (بولدها)، (بولده) في الموضعين، وبإضافته لهما (الوالدة، والمولود له؛ استعطافا لهما، وفي

قوله: (ولا مولود له بولده) إظهار في موضع الإضمار؛ إذ المقام يقتضي أن يضمر (ولا مولود له به) لتقدم ذكر الولد؛ لكنه عدل عن ذلك وأظهر؛ "للإشارة إلى ما هو كالعلة في الحكم[1]"، فكون الطفل ولدها، أو كونه ولده أدعى إلى البعد عن كل ما يضره.

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي، ١/٢٤٠.

الخاتمة:

الحمد لله، وصلاة وسلاما على خير خلقه ومصطفاه، وبعد، فقد حملت هذه الوريقات شيئا من الدراسة لخصيصة من خصائص العربية في (سورة البقرة) من سور بيانها المعجز (القرآن الكريم)، هي خصيصة (الاحتياط للمعنى النصي بوضع المظهر موضع المضمر، التي بلغت إجمالي شواهدها في السورة الكريمة واحدا وتسعين شاهدا؛ يقينا أن معايشة النظم العالي في هذا اللسان، وإنعام النظر فيه يهدي إلى نتائج تساعد في فقه بيان العربية وتذوقه، أهمها ما يلي:

- أكَّد البحث أن الاحتياط للمعنى النصي أسلوب اتَّبعه العرب لتحقيق أغراض متعددة.
- كما أكد أن وضع المظهر موضع المضمر من وجوه الاحتياط للمعنى عند العرب.
- أن الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمر يأتي لتصفيته من كل ما عسى أن يشوبه من احتمالات قد تغري بالتأويلات المنحرفة، والفهم المعوَجّ، وصونه من كلِّ ما يُوهم النقص.

أن الاحتياط للمعنى بوضع المظهر موضع المضمر يأتي لتحقيق أغراض متعددة، منها: تمكين المعنى وتوكيده، والتعظيم، والتحقير، وإزالة اللبس، والترغيب والتحذير والتهديد، والتنبيه على علية الحكم إلخ.

المصادر والمراجع:

١- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/مايو ٢٠٠٢م.

٢- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣- ابن جني بلاغياً في كتاب الخصائص للباحث: فائز طه عمر، بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد – العراق.

٤- البيان والتبيين، الجاحظ، تقديم علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م.

٥- تحرير التحبير لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق د/حفني محمد شرف، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٦هـ ١٩٩٥هـ.

٦- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون.

٧- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، بدون.

١٠- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار، الطبعة: الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١١- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
١٣- شذرات الذهب دراسة عربية في بيان القرآن الكريم، محمود توفيق سعد، طبع دار الوفاء للطباعة – شبين الكوم – ط الأولى ١٤٢٢هـ.
١٤- شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين، وعبد السلام هارون، طبع دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
١٥- متشابه النظم القرآني بين التقديم والتأخير، عبد الهادي أحمد سيد عبدالعال، "ماجستير" مخطوط في كلية اللغة العربية بأسيوط ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
١٦- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
١٧- مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ١٦٧، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت، بدون
١٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب المهدي – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

References

- Al Aaalam, Al Zerekli, Dar El elm Llmlaein, Altabaah Aluola Ayar/ Mayuo 2002.
- Al Bahar Al Moheyt Fi El tafseer, Abo Hayan Al Andalsy, El Mtawafa (745 H) Tahkak Sedki Mohamed Jameyl, Dar Al fker – Bayruot, 1420 HBay.
- AL Bayan We altabyyen, Al gahez, Takdeym Ali Abo Melhem, Dar Wa Maktabat El helal – Bayruot- Lobnan,2002.
- Tahrer Eltahbeer, ebn Aby El Esboaa Al mesry, Tahkek hfny Mohamed SHaraf, Tafaa El magles El aala LLshuoon El Eslameyah – Alqaherah 1416 H- 1995m.
- Tafseyr Abi El Sauwod, El Mutwafaa (982H) , Dar Ehiaa Eltirath El Arabi – Bayruot, Bedwun.
- Tafseyar El Raageb El Asfhani, El motwafa (520H), Tahkek Wa DErasaah Mohamed Abd El azez Basyuoni, El Nasher Kuleyat El aadab – JamEaat Tanta, EltaBAAh El wuolah, 1420H- 1999m.
- Jamee EL Bayan Fi Taweyl El quoraan, Mohamed Ebn Jarer El Tabary, El Motwafaa (310H), Tahkek: Ahmed Mohamed SHaker, Muoasasst El REsalah, El Tabaah El Oulahk 1420H – 2000M.
- Ebn Jenny Blaghyaa Fi Ketaab Elkhsaeys, Faeyz Taha Omar, Bahth Manshuor Fi Mgallat Kuleyyat ELaadab Jameaat Bagdad- El Eraq.
- Hasheyat El Shehab Ala Tafseyr El Baydawuy, Dar Sader – Bayruot, Beduon Tareykh.
- El takhasaees Abuo Elfatehe Ebn Jenny, Tahkek Mohamed Ali El Najjar, El Tabaa Eltha lethah, Elhaeyaah El Masreyyah Elaamah Llketab, 1408H- 1992M.
- Dalayel El Eajaz, Abdulqaher El Juorjany, Tahkek Mahmuod Mohamed Shaler, Matbaat El Madani Be Jedaah, El Tabaah Elthaleshah 1413H- 1992m.
- Ruoah El Maani Fe Tafssyer Elquoraan El Aazeym Wal sabaa El Mathani, Elaaluosi, El Muotwafa (1270H), Tahkek Ali

Abdelbary Ateyah, Dar El Kotob El Elmeyah – BayruotK El Tabaah El Uolaah, 1415H.

- SHazrat El Th hab Derasah Arabeyaah Fe Bayaan El Quoraan El Kareym, Mahmuod Tawufeeq saad, Tabaa Dar El Wafaa Lltebaaah- Shebeyen El kuom, Eltabaah Eluolaah 1422H.
- Sharh Deywan El Hamasah, Abuo Ale El Marzuoqi, Nashrah Ahmed Ameyn Wa AbdEl salam Haruon, Tabaa Dar El Jeyel, Baeyruot, El Tabaah El Uolaah 1411H- 1991M.
- Muotshabeh El Nazem El QuorAAny Bayen El Taqdeym Wa El Takh eeyr. Abdelhady Ahmed sayed, "Majesteyr" Makhtuot fe Kuolleyat Ellughat El Arabeyah Basyuot 1423H- 2003M.
- Al Muohkam WA Al Muoheyt El aazam Lebn Seedah (t 458H) Tahkek Abdelhameyd Hendawy, Dar El Kuotob El Elmeyah, Baeyruot – Luobnan, El Tabaah El Auoah 1421H- 1999M.
- Muokhtaar EL Sahah LL Razey (T 666H), Tahkek yuosef El Sheykh MohamEd,El Maktabah El aasreyah –El Dar El Namuozjeyah, Bayruot – Saedaa. El Tabeaah El khamesah, 1420H- 1999M.
- El Mesbaah El Muoneyr Fe khareyb El Shareh El Kabeeyr, El Maktabaah El elmeyah- Bayruot, Beduon.
- Nazem El Duorar Fe Tanasob El Aayaat Wal Souar Ll Beqaeey, Kh arraj Aayatehe Wa Ahadethehe Wa Wadaa hawaasheehe Abdulrazeq khaleb El Mahdy- Tabaa Dar El Kuotob Al Elmeyah – Bayruot – Luobnaan, El Tabaah El uolaah 1415H- 1995M.